تجليات البيئة ورمزيتها في شعر ذي الرمة

دراسة نقدية إيكولوجية

إعـداد

أ.م.د / يُوسُفُ عبَّاس علي حُسَين

أستاذ الأدب العربي القديم المساعد

ووكيل كلية الألسن للدراسات العليا والبحوث

جامعة الأقصر

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٥م

تجليات البيئة ورمزيتها في شعر ذي الرمة: دراسة نقدية إيكولوجية

يُوسُفُ عبَّاس علي حُسَين
قسم الأدب والنقد - كلية الألسن - جامعة الأقصر
البريد الإلكتروني:
dr_youssef2030@gmail.com

الملخص:

يهتمُّ النقدُ الإيكولوجي بدراسة العلاقة بين الأدب والبيئة، وهو أكثر اتساعًا وشموليةً، ويتعاملُ مع مختلف العلوم، ولا ننسىٰ أسبقيةَ الأدباء والنقاد العرب في حديثهم عن تأثير البيئة علي الشعر منذ الإرهاصة الأولىٰ للشعر، إلَّا أنَّ مصطلح النقد الإيكولوجي ظهر حديثًا في القرن العشرين، إذن الممارسة حاضرة عند القدامىٰ، والمصطلح كان غائبًا، فهو يبحثُ عن مكانة البيئة داخل النتاج الأدبي للمبدع أو الشاعر؛ بُغيةَ رصد رؤىٰ الشاعر تجاه البيئة، حيث إنَّ البيئةَ تُعدُّ عنصرًا محوريًّا، والإنسان ثمرة البيئة الاجتماعية والطبيعية، وقد تجلَّت هذه العلاقةُ في الشعر الأموي بصورةٍ واضحةٍ وجليةٍ من خلال استخدام الرموز البيئية، وقد ارتبط الشعرُ منذ الإرهاصة الأولىٰ بالطبيعة ومظاهرها الخلابة؛ فاستلهم الشعراء من فيض مظاهرها المتنوعة؛ لتعكسَ عواطفَهم ومشاعرَهم الجياشة.

وقد شهد العصرُ الأموي تطورًا ملحوظًا في الشعر، فعكست التحولات الفكرية والاجتماعية التي شهدها العصرُ ظهورَ الرمزية؛ وذلك لتعبير الشعراء عن مشاعرهم العاطفية وقيمهم بطريقة غير مباشرة، ممَّا أضفىٰ علىٰ النصوص الشعرية عند ذي الرمة عمقًا دلاليًّا يسمحُ بتعدُّد الدلالات والتأويلات في قراءة نصوصه، حيث استخدم الرمزيةَ في نصوصه، ووظَّفها في تصوير الصحراء والحيوانات والنباتات والليل، فأسهمت في

جعل النصوص أكثر إيحاءً وتأويلًا، ممَّا يعكسُ قدرةَ ذي الرمة علىٰ مزج الواقع بالخيال.

وتجلَّت الرمزيةُ البيئيةُ في الشعر من خلال استحضار عناصر البيئة الموجودة والمحيطة بهم من: صحراء، وجبال، وأنهار، وليل، ونجوم، ونبات، وحيوان، حيث إنَّ عناصرَ البيئة مثَّلت مشاعرَ وأحاسيسَ دفينةً.

ويُعدُّ موضوعُ: تجليات البيئة ورمزيتها في شعر ذي الرمة: دراسة نقدية إيكولوجية" نافذةً نطلُ من خلالها، ونعرفُ كيف تعامل الشعراءُ مع محيطهم، وتفاعلهم معها؛ فالبيئة هي الحاضنة والمرضعة للشعراء، فهي التي تُشكِّلُ رؤاهم الفنية والفكرية.

الكلمات المفتاحية:

النقد الإيكولوجي- تجليات – البيئة – الرمزية – ذو الرمة.

Environmental Manifestations and Symbolism in the Poetry of Dhu al-Rummah: An Ecological Critical Study.

Youssef Abbas Ali Hussein.

Department of Arabic Language, Faculty of Languages, Luxor University, Egypt.

Email: *dr_youssef2030@gmail.com*

Abstract:

Ecological criticism is concerned with studying the relationship between literature and the environment. It is more broad and comprehensive, and deals with various sciences. We must not forget the precedence of Arab writers and critics in speaking about the impact of the environment on poetry since the first beginning of poetry. However, the term ecocriticism appeared recently in the twentieth century. So, the practice was present among the ancients, and the term was absent, as it searches for the place of the environment within the literary production of the creator or poet; with the aim of monitoring the poet's visions towards the environment, as the environment is considered a pivotal element, and man is the fruit of the social and natural environment, and this relationship was clearly and evidently manifested in Umayyad poetry through the use of environmental symbols, Poetry has been linked, since its earliest days, to nature and its picturesque aspects. Poets have drawn inspiration from its abundant and diverse manifestations to reflect their emotions and turbulent feelings. The Umayyad era witnessed a remarkable development in poetry, as the intellectual and social transformations that the era witnessed reflected the emergence of symbolism, as poets expressed their emotional feelings and values in an indirect manner. This added a semantic depth to Dhu al-Rummah's poetic texts, allowing for multiple meanings and interpretations in reading his texts, as he used symbolism in his texts and employed it in depicting the desert, animals, plants, and night, thus contributing to making the texts more suggestive and interpretive, which reflects Dhu al-Rummah's ability to blend reality with imagination. Environmental symbolism was

manifested in poetry through the evocation of existing and surrounding environmental elements, such as desert, mountains, rivers, night, stars, plants, and animals, as the environmental elements represented buried feelings and emotions. The topic, "Environmental Manifestations and Symbolism in the Poetry of Dhu al-Rummah: An Ecological Critical Study," is a window through which we can look and learn how poets dealt with and interacted with their surroundings. The environment is the incubator and nurture of poets, and it is what shapes their artistic and intellectual visions.

Keywords: *Ecocriticism - Manifestations - Environment - Symbolism - Dhu al-Rummah.*

مقدمة

يهتمُّ النقدُ البيئي (الإيكولوجي) بدراسة العلاقة بين الأدب والبيئة، وهو أكثر اتساعًا وشموليةً، فهو يتعاملُ مع مختلف العلوم، ولا ننسىٰ أسبقية الأدباء والنقاد العرب في حديثهم عن تأثير البيئة علي الشعر منذ الإرهاصة الأولىٰ للشعر، إلَّا أنَّ مصطلحَ النقد البيئي(الإيكولوجي) ظهر حديثًا في القرن العشرين، فالممارسةُ حاضرةٌ عند القدامىٰ، والمصطلح كان غائبًا، فهو يبحثُ عن مكانة البيئة داخل النتاج الأدبي للمبدع أو الشاعر؛ بُغيةَ رصد رؤىٰ الشاعر تجاه البيئة، حيث إنَّ البيئةَ تُشكِّلُ نواةً واضحةً في النتاج الأدبي العربي، كما مثَّلت أهميةً كبرىٰ في حياة ساكنيها، ولا سيما الشعراء منهم، حيث أسهمت بحظٍّ وافرٍ في تحديد تطلعاتهم الاجتماعية، وقيمهم الأخلاقية معًا.

وتفصيلًا لما سبق: فإنَّ شعرَ ذي الرمة يصلحُ – فيما أرىٰ – لدراسة هذا المصطلح الحديث، فقد اهتمَّ بالبيئة المحيطة به، وتناغم، وانسجم، وتفاعل معها، فهو جزءٌ منها، فتمثِّلُ البيئةُ عنصرًا محوريًّا، والإنسان ثمرة البيئة الاجتماعية والطبيعية، وقد تجلَّت هذه العلاقةُ في الشعر الأموي بصورةٍ واضحةٍ وجليةٍ من خلال استخدام الرموز البيئية، وقد ارتبط الشعرُ منذ الإرهاصة الأولىٰ بالبيئة ومظاهرها الخلابة، فاستلهم الشعراء من فيض مظاهرها المتنوعة؛ لتعكس عواطفهم ومشاعرهم الجياشة.

وقد شهد العصرُ الأموي تطورًا ملحوظًا في الشعر، فعكست التحولات الفكرية والاجتماعية التي شهدها العصرُ ظهورَ الرمزية؛ وذلك لتعبير الشعراء عن مشاعرهم العاطفية وقيمهم بطريقة غير مباشرةٍ، ممَّا أضفىٰ علىٰ النصوص الشعرية عند ذي الرمة عمقًا دلاليًّا يسمحُ بتعدُّد الدلالات والتأويلات في قراءة نصوصه، حيث استخدم الرمزيةَ

في نصوصه، ووظَّفها في تصوير الصحراء والحيوانات والنباتات والليل، فأسهمت في جعل النصوص أكثر إيحاءً وتأويلًا، ممَّا يعكسُ قدرةَ ذي الرمة علىٰ مزج الواقع بالخيال.

وتجلَّت الرمزيةُ البيئيةُ في الشعر من خلال استحضار عناصر البيئة الموجودة والمحيطة بهم من: صحراء، وجبال، وأنهار، وليل، ونجوم، ونبات، وحيوان، حيث إنَّ عناصرَ البيئة مثَّلت مشاعرَ وأحاسيسَ دفينةً.

ويُعدُّ موضوعُ: "تجليات البيئة ورمزيتها في شعر ذي الرمة: دراسة نقدية إيكولوجية" نافذةً نطلُ من خلالها، ونعرف كيف تعامل الشعراء مع محيطهم، وتفاعلهم بها، فالبيئة هي الحاضنة والمرضعة للشعراء، فهي التي تُشكِّلُ رؤاهم الفنية والفكرية.

أهمية البحث:

- استخدامُ النقد البيئي (الإيكلوجي) في شعر ذي الرمة؛ بُغيةَ توضيح مفرداتها البيئية، وكيفية إخراج الرمزية منها .

- استنطاقُ رؤي الشاعر من كتاباته ومفرداته البيئية، وتوضيح الوعي البيئي في النصوص.

- الكشفُ عن البعد الرمزي في شعر ذي الرمة.

- فهمُ العلاقة بين الإنسان والبيئة.

- توضيحُ أنَّ البيئةَ ليست خلفيةً جماليةً، بل هي عنصرٌ أساسٌ يتفاعلُ معه الشاعرُ؛ ليعبِّرَ عن مكنوناته.

- ربطُ الأدب بالبيئة من منظور نقدي حديث، حيث تُعبِّرُ البيئةُ عن رؤىٰ الشاعر النفسية والاجتماعية والفلسفية.

أهداف البحث:

- إلقاء الضوء علىٰ المفاهيم المعاصرة لدراسة النص الأدبي، وذلك من خلال مصطلح " النقد الإيكولوجي " ، وتطبيق هذا النموذج علىٰ شعر ذي الرمة البيئي.
- يُعدُّ هذا البحث جسرًا للتواصل بين التراث والحداثة.
- توضيح العلاقة بين الشاعر وبيئته.
- تؤدِّي الرمزيةُ البيئيةُ دورًا في إثراء النصوص، وإضفاء عمقٍ علىٰ المعاني.
- الكشف عن الرموز البيئية، وفك شفراتها بدلالاتها المختلفة: (النفسية – الاجتماعية – الفلسفية).

الصعوبات:

ـ قِلَّةُ الدراسات النقدية الحديثة حول البيئة.

ـ تحتاجُ الرمزيةُ البيئيةُ إلىٰ مقارباتٍ نقديةٍ حديثةٍ تربطُ بين التراث والمناهج المعاصرة.

ـ صعوبةُ تفسير الدلالات الرمزية.

أسباب اختيار الموضوع:

-تطبيق النقد البيئي (الإيكولوجي) علىٰ شاعر تميز نتاجه الشعري بالتناغم والانسجام الواضح مع بيئته وتأثره بها ، أي إحساسه وتفاعله مع البيئة المحيطة بها .

- إنَّ الرموزَ البيئيةَ تحملُ في الشعر دلالاتٍ متباينةً ومعانيَ عميقةً.
- يُعدُّ ذو الرمة شاعرًا مميزًا في توظيف البيئة وعناصرها، وتحويلها إلىٰ رموزٍ ذات دلالاتٍ.
- انتقلت الرمزيةُ البيئيةُ من الوصف المباشر إلىٰ وصفٍ رمزيٍّ أكثرَ عمقًا.

أسئلة البحث:

- ما العلاقةُ بين النقد البيئي والنص الأدبي؟

- هل هناك وجودٌ للبيئة داخل النص الأدبي؟
- كيف وظَّف ذو الرمة في شعره البيئة؟
- ما المقصودُ بالرمزية البيئية؟
- ما الدلالاتُ الرمزيةُ عند ذي الرمة؟
- كيف تُسهمُ الرمزيةُ البيئيةُ في خلق الصورة الذهنية؟
- ما العناصرُ البيئيةُ عند ذي الرمة؟
- كيف ارتبطت البيئةُ بالشعر الأموي؟

منهج البحث:

استخدم الباحثُ المنهجَ الوصفيَّ التحليليَّ، حيث إنَّه يهتمُّ بالظواهر كما هي بالواقع؛ فهو يُعدُّ الأنسبَ للمنهج النقدي البيئي المستخدم في التطبيق علي شعر ذي الرمة البيئي، حيث يقومُ بتحليل ووصف البيئة، وإقامة علاقاتٍ مع البيئة وعناصرها، ويستخدمُ الباحثُ معه بعضَ الوسائل السردية، مثل: الرمزية، والسياق، والتأويل ... وغيرها من وسائل التحليل والنقد؛ وذلك من أجل تحليل النصوص الشعرية، وربطها بالواقع .

الدراسات السابقة:

جاءت الدراساتُ المتعلقةُ بالنقد الإيكولوجي (البيئي) عند العرب قليلةً نسبيًّا إذا ما قيست بالدراسات البيئية عند الغرب؛ وذلك يرجع لظهوره الحديث والمتأخر، وكان من هذه الدراسات النقدية البيئية العربية:

- **النقد الأدبي البيئي (مقدمة في النظرية والإجراء)**- بنين سمير عيسىٰ – المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية ـ كلية الآداب ـ جامعة البصرة ـ العراق -ع (٥٧) ـ مايو سنة ٢٠٢٤م

تناولت الدراسة تؤطئة – الأصول المعرفية للنقد الأدبي البيئي – الجذور الفلسفية – المفاهيم الأساسية للنقد البيئي – التمركز حول الانثروبولوجيا ـ الخيال البيئي – التناص البيئي – مركزية البيئة – الأخلاق البيئية ـ الاستدامة – النظام البيئي ـ النقد البيئي إجرائيًّا ـ نموذج إجرائي – نسق الاكتفاء – نتائج البحث – هوامش البحث.

- **النقد البيئي – مقاربة وتمهيد** – علي سعدون ـ الأديب العراقي ـ مجلة فصلية تصدر عن الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق ـ ع (٢٥) ـ سنة ٢٠٢٠م.

جاءت الدراسة في مقدمة – القراءة الثقافية علىٰ وجه التحديد هي واحدةٌ من متطلبات الخوض في النصوص والاحتدام معها – يولد النقد البيئي في التباسات التفكير المنهجي في النقد بسبب مقاربته من مناهج راسخة – عدم الفصل بين التغيرات المكانية والجغرافية، وتحول الطبيعة من حال إلىٰ حال – علاقة المنهج بالأخلاق وفلسفتها بعد الإساءات المتكررة – الهوامش.

- **النقد البيئي والنسوية البيئية تأطير مفهومي** – حميد عبد الوهاب البدراني – الأديب العراقي ـ مجلة فصلية تصدر عن الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق – ع (٢٥)– سنة ٢٠٢٠م.

تناولت الدراسةُ النقدَ البيئيَّ – كلمة بيئية من بين جميع الكلمات هىٰ الأكثر استخدمًا في المناقشات حول التدهور أو السلامة الإيكولوجية، حيث إنَّها تحظىٰ بأهميةٍ رمزيةٍ – الفلسفة النسوية لاتنطوي بفروعها المختلفة علىٰ مدرسة محددة المعالم – النسوية البيئية – الهوامش.

- **النقد البيئي النسوي بين المحتوى الدلالي والتعالق الروحي** – نازك الملائكة مثالا–زينة محجوب – الأديب العراقي – مجلة فصلية تصدر عن الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق –ع (٢٥)– سنة ٢٠٢٠م.

تناولت اتجاهاتِ الدرس النقدي النسوي - المرجعية التاريخية - المرجع الأسطوري- الهوامش.

- **شعر ابن المعتز دراسة في ضوء النقد البيئي (الأخضر)** -إيمان السلطاني- الأديب العراقي- مجلة فصلية تصدر عن الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق -ع (٢٥)- سنة ٢٠٢٠م.

جاءت الدراسة في مقدمة – الحديث عن نشأة تيار يهتم بالبيئة – النقد البيئي – ابن المعتز وفق أنماط ثلاثة: أولًا- نمط الإنتاج. ثانيًا- نمط التوازن. ثالثًا- نمط الاستهلاك - الهوامش.

- **أهمية النقد الأدبي البيئي في الدراسات النقدية** - محمد أبو الفضل بدران - المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية ـ المجلس الدولي للغة العربية ـ الإمارات.

جاءت الدراسةُ في تمهيد – الافتراضات النظرية وتساؤلات البحث – النقد الأدبي نظريًّا – تعريفه - النقد الأدبي البيئي تطبيقًا – البيئة في الأدب العربي – الرواية النوبية وقوف طللي روائي - القصيدة العربية نص بيئي – نماذج تطبيقية – الهوامش.

- **النقد البيئي مفاهيم وتطبيقات – مجموعة من المؤلفين** - الشارقة – الإمارات – ط: (١)- سنة ٢٠٢٢م.

- **النقد البيئي مفاهيم وتطبيقات ــ مجموعة مؤلفين ـ** الانتشار العربي ـ الشارقة ـ الإمارات ـ ط: (١) ـ سنة ٢٠٢٢م.

جاء الكتابُ في قسمين: الأول: تناول النقد البيئي من خلال عرض المفاهيم النظرية، والنشأة والتطور، أمَّا القسم الثاني، فتناول الممارسة التطبيقية، حيث قام بعرض يعض الدراسات، مثل: " الأسوجة الخضراء في البحريات - أميمة الخميس " قراءة نقدية من منظور إيكولوجي، والكينونة الطبيعية وتبيئة فلسفة الموت: مقاربة

إيكولوجية لرواية " الموت يمر من هنا " لعبده خال، والتخييل البيئي في رواية (طوق الحمامة) لرجاء العالم، ثم خاتمة ورد فيها: " إطلالة لأفكار باختين ولاكان علىٰ النقد البيئي "مدن تأكل العتب".

أمَّا الدراسات التي تتعلق بذي الرمة، فهناك العديد من الدراسات التي تناولت شعر ذي الرمة؛ لما يتميَّزُ به من جودة نتاجه الشعري، وموهبته الفنية، إلَّا أنَّ هذه الدراساتِ لم تتعرض إلىٰ النقد الإيكولوجي من قريب أو بعيد، ومن هذه الدراسات:

- **حياة الصحراء في شعر ذي الرمة** – صالح أغا – رسالة ماجستير مقدمة إلىٰ الدائرة العربية في الجامعة الامريكية – بيروت – رسالة ماجستير في الآداب – سنة ١٩٧٠م.

حيث جاءت الدراسةُ في مدخل، وثلاثة فصول، وخاتمة، وثبت بالمصادر والمراجع، فتناول في المدخل: تعريف بذي الرمة، والفصل الأول: البيئة الصحراوية ومعالمها الكبرىٰ. والفصل الثاني: طبيعة العلاقات بين البيئة الصحراوية وحيوانها وأنسها. والفصل الثالث: أثر الصحراء وضروب الصراع فيها في نفسية ذي الرمة، وخاتمة، وثبت بالمصادر والمراجع.

- **ناقة ذي الرمة بين النقاد القدماء والنقاد المحدثين: دراسة تحليلية** – عبد الله بن سلطان –رسالة ماجستير – كلية الآداب – جامعة عين شمس – مصر – سنة ١٩٩٥م.

جاءت الدراسةُ في: مقدمة، ومدخل، وثلاثة فصول، وخاتمة، وثبت بالمصادر والمراجع.

فتناولت الدراسةَ في المقدمة نبذة عن الموضوع وأسباب اختياره والهيكل التنظيمي للبحث، وفي الفصل الأول: الحيوان في شعر ذي الرمة، والفصل الثاني: ذو

الرمة ووصف الحيوان في دائرة القديم، وفي الفصل الثالث: ذو الرمة ووصف الحيوان في النقد الحديث، وجاءت الخاتمة تحمل أهم النتائج التي توصل إليها الباحث ثم ثبت المصادر والمراجع.

- **الرمز الفني والجمعي والأسطوري في شعر ذي الرمة** – حسنة عبد السميع – الهيئة المصرية العامة للكتاب – مج (١٤) -ع (٢) - سنة ١٩٩٥م.

تعرَّضت الدراسةُ للأصول الأسطورية والنفسية الجمعية للخيال الفني، كما تمثَّلت في شعر ذي الرمة، ثم تحدث عن المرأة ورمزيتها، وامتدَّ الحدث ليشمل التشكيل الحركي عند ذي الرمة، فهو أميل إلىٰ التشكيل النحتي، كما تحدثت عن الحيوانات وصورها في عالمه الشعري الناقة – الصيد ورمزيته – الأساطير – الطبيعة، وثبت بالمصادر والمراجع.

- **التشكيل الوصفي في شعر ذي الرمة** - حسن عيسىٰ محمد قويدر - رسالة دكتوراه - كلية الآداب جامعة اليرموك – الأردن – سنة ٢٠١٥ - ٢٠١٦م.

جاءت الدراسة في: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وثبت بالمصادر والمراجع.

تناول في المقدمة: نبذة عن الموضوع الدراسات السابقة والهيكل التنظيمي للدراسة.

أمَّا التمهيد، فتطرق إلىٰ التعريف بالشاعر، والوصف في التراث النقدي، وجاء الفصل الأول بعنوان: أشكال الوصف شعر ذي الرمة، والفصل الثاني: الخطاب الوصفي في شعر ذي الرمة ، والفصل الثالث: تحليل نص قصيدة من قصائد ذي الرمة، ثم الخاتمة: وتحمل أهمَّ النتائج التي توصل إليه الباحث، وثبت بالمصادر والمراجع.

الهيكل التنظيمي:

فرضت طبيعةُ الدراسة أن تأتي في: مقدمة مشفوعة بمدخل للدراسة، وثلاثة مباحث تقفوهم خاتمة، وثبت بالمصادر والمراجع.

تناول الباحث في المقدمة: نبذة عن الموضوع، وأهمية البحث، وأهدافه، وصعوباته، وأسباب اختيار الموضوع، وأسئلة البحث، ومنهجه، والدراسات السابقة، وأمَّا المدخل إلىٰ الدراسة، فتناول: مفهوم الرمزية البيئية، وتعريفها، وأهميتها في الأدب العربي، وارتباط البيئة بالشعر العربي القديم، والبيئة في الشعر العربي القديم ودورها كخلفية شعرية، واستخدام عناصر البيئة كرموز للتعبير الفني، ومدخل إلىٰ النقدالبيئي (الإيكولوجي).

وجاء المبحث الأول بعنوان: البيئة المتحركة في شعر ذي الرمة.

والمبحث الثاني: جاء بعنوان: البيئة الصامتة في شعر ذي الرمة.

وأمَّا المبحث الثالث، فجاء موسومًا بـ" دلالات الرمزية في شعر ذي الرمة البيئي"، ووردت علىٰ النحو التالي: (الدلالة النفسية – الاجتماعية – الفلسفية).

والخاتمة: تناولت أهمَّ النتائج التي توصَّلت إليها الدراسة، ثم قائمة بالمصادر والمراجع.

مدخل الدراسة

أولًا- مفهوم الرمزية البيئية

لم يُعرف المعنىٰ الاصطلاحي للرمزية إلَّا في العصر العباسي، حيث إنَّ العصرَ العباسيَّ كان يُمثِّلُ اتجاهاتٍ فكريةً مختلفةً، واتضح هذا جليًّا عند الشيعة والصوفيين، فكانوا يُعبِّرون عن مبادئهم وأفكارهم بالرمزية " ففي رأي الصوفي أنَّ ظواهرَ الأشياء انعكاسات ليوظفها وأقنعة لجواهرها، ولا يخترق تلك الأقنعة سوىٰ البصيرة الثاقبة التي يغذيها الذوق والإلهام، أمَّا التجربة الصوفية، فتدفعُ الشاعرَ إلىٰ الالتجاء إلىٰ الرموز، فيستعين بالكلمات التي تومئ بصورٍ غير مباشرةٍ وغير واضحةٍ إلىٰ المعنىٰ المقصود (١)".

ويتجهُ الشعرُ الرمزيُّ إلىٰ الخروج بعيدًا عن الشعر الواقعي، ويعتمدُ علىٰ الألفاظ الموحية، "ولقد عاش الصوفيون في عالمٍ روحيٍّ غريبٍ عن الحياة الاجتماعية المعهودة، فليس بغريبٍ أن يبتدعوا لنفسهم مصطلحاتٍ خاصةً، ومفاهيمَ خاصةً للكلمات والألفاظ الشائعة في التعبير (٢)".

ولا يخفىٰ علينا مكانة الرمز في الشعر، حيث يُمثِّلُ أداةً رئيسةً من أدوات التعبير عمَّا يريدونه، ففي الشعر الحديث عكس الأدب القديم، حيث أصبح الرمز وجهًا مقنعًا من وجوه التعبير بالصورة (٣)".

---

(١)- معالم الرمزية في الشعر الصوفي العربي – نور سلمان – أعدتها لنيل شهادة أستاذ في العلوم – الجامعة الأمريكية –بيروت – سنة ١٩٥٤م / ص٧٤.

(٢)- السابق / الصفحة نفسها.

(٣)- ينظر: الشعر العربي المعاصر قضاياه ومظاهره الفنية والمعنوية – عز الدين إسماعيل – دار الفكر العربي – بيروت – ط: (٣)- سنة ١٩٦٦/ ص١٥٩.

فالشعراء يلجأون إلىٰ التلميح بدلًا من التصريح، فيقوم بإضفاء صورةٍ جماليةٍ علىٰ شعره، فـ"الرمز الشعري يتضمَّنُ التجربةَ الشعريةَ الخاصةَ والسياق الخاص، فالتجربة الشعورية بما لها من خصوصيةٍ في كل عملٍ شعريٍّ هي التي تستدعي الرمز القديم، لكي تجدَ فيه التفريغَ الكلي لما تحمل من عاطفةٍ أو فكرةٍ شعوريةٍ، عندما يكونُ الرمزُ المستخدمُ قديمًا، وهىٰ التي تجعلُ اللفظةَ طابعًا رمزيًّا[1]".

ويحملُ الرمزُ دلالاتٍ، منها: الدلالة التعبيرية، والأخرىٰ الدلالة الإيحائية، فنال الرمز كثيرًا من الاهتمام عند الشعراء والنقاد، فحينما يُعبِّرُ الشاعرُ عن طبقةٍ ينتمي إليها ومراد بها إنابة القليل عن الكثير أو الجزء عن الكل، وقد تختلط الكلمة بمعنىٰ الإشارة التي يحال فيها علىٰ شيءٍ محددٍ، ومن ثَمَّ يتبادرُ إلىٰ الذهن أنَّ الرمزَ ما يُومئ ويُوحي بشيءٍ آخر لعلاقةٍ بينهما [2]".

ويُعدُّ الرمزُ بمنزلة النور في عتمة النص، حيث إنَّ النصَّ الرمزيَّ غير واضحٍ، ويكون ضبابيًّا، ولا يُعرفُ بالمباشرة، بل عن طريق التأويل [3]".

وخلاصة القول: لا نعني بوجود الرمز في الشعر: عدم الوضوح؛ " إنَّما معناه: تكثيف الصور الفنية دون الفردية المستغرقة بالرمز، وهو ما أشار إليه الجرجاني: وإن

---

[1]- الشعر العربي المعاصر قضاياه ومظاهره الفنية والمعنوية / ص١٩٩.

[2]- ينظر: الصورة الأدبية – مصطفىٰ ناصف – دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – (د.ت)/ ص١٢٥.

[3]- ينظر: دراسة في الشعراء العرب المحدثين – محمد هدارة – (د.ت)- (د.ط)/ ص٣٠.

الرمز لم يتخذ معناه الاصطلاحي إلَّا في العصر العباسي الذي كان عصر التحول في الحياة الاجتماعية والأدبية [١]".

واهتمَّ الشعراء بالرمز؛ وذلك لما يحمله من دلالاتٍ ترتقي بالشعر، وتجعله قريبًا إلىٰ نفس القارئ أو المتلقِّي إذا كان بعيدًا عن التعمية والتعتيم، والرمزيةُ هي محاولةٌ من الشعراء للإدراك والإبلاغ، وهىٰ حالةٌ من الوضوح بعد أن كانت مبهمةً، ويقومُ الشعراءُ بتسخير المرموز في أشعارهم من خدمة أغراضهم.

أمَّا المقصود بالبيئة، فكل ما يُحيط بالإنسان من جمالياتٍ يتأثَّرُ ويُؤثِّر فيها، فالإنسان خُلق من بيئةٍ، وكل مكوناتها تداخلت فيه، وهىٰ " ذلك الرصيد من الموارد المادية والاجتماعية المتاحة في وقتٍ ما، وفي مكانٍ لإشباع حاجات الإنسان وتطلعاته"[٢] .

وهناك بيئتان تُؤثِّران في أي كائنٍ حيٍّ، **البيئة الأولى**: البيئة الخارجية أو الكونية، **أمَّا الثانية**، فهي: البيئة الداخلية (العضوية)، وتُطلقُ علىٰ الزمان والمكان، وهما يحيطان بالظواهر الطبيعية[٣]".

---

[١]- جمالية الرمز في الديوان الأخير لمحمود درويش (لا أريد لهذه القصيدة أن تنتهي) – أحمد عبد الحفيظ – رسالة ماجستير – جامعة آل البيت – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – الأردن – سنة ٢٠١٧/ ص٢٤.

[٢]- من أجل لغة خضراء – محاولة في فهم أدب البيئة ونقده –خميس آدامي –جامعة عباس لفرور خنشلة –الجزائر – مجلة أبو ليوس – مج (٨)–ع (٢)– سنة ٢٠٢١/ ص١٠٣.

[٣]- ينظر: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية – جميل صليبا – دار الكتاب اللبناني – بيروت – سنة ١٩٨٢/ ١:٢٢٠.

ولا شكَّ أنَّ البيئةَ هي مصدرٌ من مصادر الإبداع عند الشعراء القدامىٰ والمحدثين، فـ" تُعدُّ البيئةُ بعناصرها الحية والجامدة مصدرَ إبداعِ العديد من الشعراء والأدباء قديمًا وحديثًا؛ ونظرًا لأهميتها، ومكانتها استطاعت اكتساح مواضيع الأدب، حيث كانت مصدرَ إلهامِ الشعراء، فجعلوها قبلةً للإبداع، ولحظةَ ولادة القصيدة"(١) .

وللبيئة أثرٌ كبيرٌ علىٰ النفوس، ويختلفُ تأثيرُها من شخصٍ إلىٰ آخرَ، وتختلف الآداب " باختلاف البيئات، فكان الأدب اليوناني نتيجةَ بيئةٍ متعددة المشاهد علىٰ المؤثرات، يُعرفُ أصحابُها بكثرة المغامرات، فجاءت قصصهم ملونةً بالخيال، أمَّا البيئة العربية، فكانت بسيطةً"(٢).

وممَّا سبق يتضحُ أنَّ الرمزيةَ البيئيةَ وضَّحت العلاقةَ بين الإنسان والبيئة، فيتم توظيف الرموز البيئية للتعبير عن الوعي البيئي والتفاعل مع البيئة، كما أنَّ للرموز البيئية دلالاتٍ فكريةً وثقافيةً عكست من خلالها رؤية المجتمع تجاه البيئة المحيطة به.

ثانيًا- ارتباط البيئة بالشعر العربي القديم

ارتبط الشعرُ بالبيئة منذ القدم، فقيل: "الشاعر ابن بيئته"، فأي عملٍ أدبي وليد البيئة، حيث إنَّ الأديبَ يتأثَّرُ بالبيئة المحيطة به، ولا يُوجدُ شعرٌ أو نثرٌ لم يتأثَّر بالبيئة، فلا بُدَّ من " دراسة علاقة ما بين الأدب والبيئة الطبيعية "(٣) .

---

(١)- الحضور البيئي في شعر عامر شارف – نماذج مختارة – حبيبة رمضان – رسالة ماجستير – كلية الآداب واللغات – جامعة محمد خيضر – بسكرة – الجزائر – سنة ٢٠١٧م / ص٤.

(٢)- حياة العرب الأدبية (الشعر الجاهلي) -عروة عمر – دار مدني – الجزائر – سنة ٢٠٠٤م / ص٩٢.

(٣)- النقد الأدبي البيئي (النظرية والتطبيق) – محمد أبو الفضل بدران – إدارة الثقافة الإسلامية – الكويت -٢٠١٠م / ص١٠.

والخيال البيئي في النص، والإنسان يحس ويشعر بما يدور حوله، فيتأثَّر بالمواقف، ويُعبِّرُ عمَّا يجيشُ بصدره من أفراح وأتراح، " فكيف بالشاعر وهو الإنسان المرهف الحس والشعور الذي يصور الجماد حيًّا، فيتخيلُ منه كائنًا متحركًا يُحبُّ ويكرهُ، يتألَّمُ ويتكلمُ، يقول (بيتن): "إنَّ هناك قوانينَ ثلاثةً يخضعُ لها الأدبُ في كل أمةٍ، وهيٰ: الجنس، والزمان، والمكان، فلكل جنسٍ خواصُّه، ولكل زمانٍ أحداثُه وظروفُه الاقتصاديةُ والسياسيةُ والثقافيةُ والاجتماعيةُ، ولكل مكانٍ مميزاتُه الجغرافيةُ والاجتماعيةُ، وتلك هي المؤثِّرات في الأدب فإلىٰ أي مدًىٰ يا ترىٰ أثَّر ذلك في الشعر والشعر العربي خاصةً؟"(١) .

فالأدبُ هو الذي يرصدُ المشاعرَ والأحداثَ، فيُعبِّرُ عن مجتمعه وبيئته الطبيعية؛ لأنَّه جزءٌ منها؛ لأنَّ الأرضَ التي يعيشُ فيها هي موطنه، والأحداث التي تجري فيها هي خواطر وذكريات مشاعره؛ لهذا نحن عندما نسمعُ كلماتِ الشاعر التي تغنىٰ بالبيئة نحس كل شيء عن طبيعته ومجتمعه، وتشهدُ التجربةُ التي مرَّ بها الشاعرُ، ونقلها إلينا في صورة واقعٍ فنيٍّ وفكريٍّ"(٢).

وارتبط الشاعرُ في الشعر العربي القديم بالقبيلة، فهو ابن قبيلته يدافعُ عنها، يفرحُ لفرحها، ويترحُ لترحها، فهو الفارسُ والقائدُ في البحث عن المراعي، وصاحب كلمةٍ

(١)- أثر البيئة علىٰ الشعر – محمد بن راشد ابن خنين – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – معهد الرياض –ع (٧) –سنة ١٩٧٢/ ص١٠٥

(٢)- الأدب الجاهلي بين البيئتين الطبيعية والاجتماعية – مهدي ممتحن – مجلة التراث الأدبي – ع (٣)- السنة الثالثة – سنة ١٣٨٨هـ.ش/ ص٢.

وقرارٍ " والشاعرُ نفسُه عضوٌ في مجتمعٍ منغمسٍ في وضعٍ اجتماعيٍّ معينٍ، يتلقَّىٰ نوعًا من الاعتراف الاجتماعي والمكافأة" (١).

وتركت البيئة أثرها العميق علىٰ حياة الشعراء والأدباء، فتأثَّر بها، فأنتج لغةً مختلفةً ومتباينةً، هذه اللغةُ تتباين بتباين البيئة، فـ"كان الشعراء الجاهليون يتمتعون بقدرةٍ علىٰ تصوير المشاهد الحياتية رغم قسوتها وصعوبتها، فانعكس ذلك في وصف الطبيعة القاسية وحياة القبائل ومعاركهم وحبهم وأحزانهم في أشعارهم، فنجد في شعر امرئ القيس براعةً في تصوير الصيد والحيوانات البرية، بينما تفوَّق زهير بن أبي سلمىٰ في تصوير معاني الحكمة والسلم المجتمعي"(٢).

ولا ينكرُ أحدٌ منا أنَّ البيئةَ أنتجت أنماطًا فكريةً متقدمةً في الحياة الأدبية، كما أنَّها تنتج شخصية الشاعر، وكل هذا " يدلُّ علىٰ دور البيئة في بناء شخصية الشاعر، وهيمنتها علىٰ قاموسه اللغوي وتصويره الفني، فالتحول الاجتماعي والانتقال من بقايا حياة البداوة بخشونة عيشها وقساوتها إلىٰ حياة الترف ونعومتها، فضلًا عن التطور العلمي والثقافي الذي تغيَّر تغيُّرًا واسعًا في ذلك العصر كان له الأثر البالغ في تطور صور الشاعر ومعانيه واتساع أفق خياله(٣).

---

(١)- نظرية الأدب – رينيه ويلك ، وارين أوستن – (د.ت)- (د.ت)/ ص١١٩.

(٢)- أثر البيئة في الشعر الجاهلي معلقة امرئ القيس نموذجًا – إبراهيم الصديق أحرير – محمد أبو شعالة صالح – مجلة أبحاث بكلية الآداب – سرت – ليبيا – مارس – سنة ٢٠٢٥/ ص٥٠.

(٣)- أثر البيئة في شعراء العصر العباسي الأول (صور ومعان) – باقر جلوي علوان – مجلة الباحث للعلوم الإسلامية – كلية الإدارة والاقتصاد – جامعة الفلوجة – العراق / ص١٢١.

وقد جاء إحساسٌ جديدٌ عند شعراء العصر الأموي يختلفُ عن سابقيهم، وذلك بسبب بيئاتهم الجديدة، فيصورون قصص الحب، وكل منهم يحاول أن يسبق صاحبه في هذا المجال، " ومن هنا كان كلُّ مَن يقرأُ شعرَ هؤلاء الشعراء يحسُّ بفوارقَ شديدةٍ بينهم وبين آبائهم في الجاهلية، فهم من إحساسٍ جديدٍ، إحساس مترف عاش أصحابه عيشة متحضرة، لا تتصل بشظف العيش ولا بخشونة الحياة [١].

فقد انعكست البيئةُ القاسيةُ بتضاريسها وجبالها وسهولها ووديانها علىٰ الصور الشعرية، فتفاعل الشاعرُ مع بيئته ومع قيمها وقيم ساكنيها، وأنتج لنا نتاجًا غزيرًا عبَّر فيه عن مشاعره المكنونة.

ثالثًا- البيئة في الشعر العربي

- دور البيئة كخلفية شعرية:

تُعدُّ البيئةُ مصدرًا من مصادر الإلهام عند الشعراء، ولكن إلهام البيئة للناس يختلف باختلاف أمزجتهم؛ لأنَّ الشعرَ ينشأُ في أحضان الطبيعة، فـ" الشاعر العربي القديم كان شاعر طبيعة، يتأمَّلُ فيها، ويبثُّها آلامه، وينسىٰ عندها أحزانه، ويحبها، ويفتن بها، ويصورها كما امتثلتها نفسه، تثير الأطلال شجونه، وتملك عليه الناقة والبعير والفرس فؤاده، وتستهويه الصحراء بحيوانها، ورمالها، وآبارها ... فالشاعر الجاهلي إذا مثل الحياة البدوية أو الريفية فلأنه كان بدويًّا أو راعيًا، كما صنع شعراء العصور الوسطىٰ"[٢].

---

[١]- التطور والتجديد في الشعر الأموي – شوقي ضيف – دار المعارف – ط: (٨)- سنة ١٩٥٩/ ص٣٤.

[٢]- شعر الطبيعة في الأدب العربي – سيد نوفل – مطبعة مصر – القاهرة – سنة ١٩٤٥م / ص١١- ١٢.

واعتمد الشاعرُ علىٰ نقل المشاهد البيئية، وتنظيمها في قوالبَ شعريةٍ، وإقامة علاقات بينها، وتشكيلها، حيث "تناول الشعراءُ قديمًا وحديثًا الطبيعة بكل عناصرها، فما من شاعر تخلو قصائده من ملامحها، فالطبيعة لها في خيال الشعراء أهمية كبرىٰ؛ إذ من خلالها يجيدون التعبير عمَّا يجولُ في خواطرهم، وتبرزُ من خلالها الكثير من المعاني والصور الرائعة، فلا يمكن لأي إنسانٍ التقليل من أهميتها"[(١)].

الشاعرُ هو ابن بيئته، واتخذمنها حاضنة له، ومن خلالها استطاع الولوج إلىٰ ما يريد الوصول إليه، فتأثَّر بكل ما حوله من البيئة التي عاش بين جنباتها سواء أكانت صامتة أم متحركة، حيث كان لحضورها في شعر ذي الرمة حضورًا مميزًا، ممَّا دفعني إلىٰ دراسة عناصرها وتجلياتها في شعره، ولكن تختلف وجود عناصر البيئة علىٰ حسب أهميتها من نفس الشاعر.

فالشاعرُ حينما يتعاملُ مع البيئة يُضفي عليها لمساتِه؛ لقوة أثرها في نفسه، وغناها بالدلالات، فيسحر بها، ويُعبِّرُ عن مكنوناتها، ويظهرُ من خلال الارتباط الوثيق بينهما، فهام بها، وأقبل عليها بشغف، مصورًا لجمالها ومحاسنها من: رياض وأزهار وجبال وأنهار وسماء ونجوم ...إلخ، فـــ" الشاعرُ نبيٌّ، وفيلسوفٌ، ومصورٌ، وموسيقيٌّ، وكاهنٌ. نبيٌّ؛ لأنَّه يرىٰ بعينه الروحية ما يراه كلُّ بشرٍ، ومصورٌ؛ لأنَّه يقدرُ أن يسكبَ ما يراه ويسمعه في قوالبَ جميلةٍ من صور الكلام، وموسيقيّ؛ لأنَّه يسمعُ أصواتًا متوازيةً حيث لا نسمعُ نحن سوىٰ هدير وجعجعة العالم كله ..." [(٢)].

---

(١)- الطبيعة في شعر محمد توفيق علي – أسماء عربي عبد الرحمن – مجلة كلية الآداب بقنا –ع (٥٢)- سنة ٢٠٢١م / ص١٥.

(٢)- الغربال – ميخائيل نعيمة – بيروت – لبنان – مج (١٥)- سنة ١٩٩١/ ص٨٤.

فالبيئة لم تشكل المشهد الشعري فقط، حيث إنَّها لم تكن مجردَ خلفيةٍ للأحداث، بل عكست لنا مشاعر وأشجان وعواطف الشاعر، فكان ملاذًا يلمهم الشعراء للتفكير والتعبير عن مكنوناتهم، فهيٰ جزءٌ لايتجزأُ من تجاربهم وخلجاتهم النفسية.

رابعًا- مدخل إلى النقدالبيئي (الإيكولوجي)

النقد البيئي (الإيكولوجي) هو أحدُ المناهج النقدية الحديثة، يهتمُّ بدراسة العلاقة بين الأدب والبيئة الطبيعية، خاصةً في ظل التحديات البيئية المتزايدة، " اهتمَّ الفكرُ البشريُّ قديمًا وحديثًا بالبيئة الطبيعية، بشكلٍ يعكسُ انشغالَ الإنسان بمحيطه الطبيعي منذ أن طرأ علىٰ الوجود، ومحاولاته في إيجاد أجوبةٍ مقنعةٍ عن مختلف الأسئلة التي تثيرها مظاهر الكون الطبيعي وظواهره، في انتظامها وإنسجامهامن جهة، وفي تأثيرها علىٰ الحياة البشرية الفردية والجماعية من جهةٍ أخرىٰ [(١)].

ووجدت البيئةُ اهتمامًا كبيرًا عند العرب منذ القدم، حيث يُعدُّ ابنُ عبد ربه، وهو من القرن الثالث الهجري، وأول مَن طرح معنًىٰ بيئيًّا في كتابه: (العقد الفريد)، فقال: "إنَّه الوسطُ الطبيعيُّ الجغرافيُّ الذي يعيشُ فيه الكائنُ الحيُّ والإنسانُ، وأشار -أيضًا- إلىٰ المناخ الفكري والأخلاقي والسياسي" [(٢)].

وليس كل الأدب يوصف "بأنَّه أدبًا إيكولوجيًّا؛ لأنَّ الأدبَ الإيكولوجي أدبٌ خاصٌّ لا بُدَّ أن تتوافر فيه بعضُ الخصائص والسمات التي تُوجدُ في غيره من النصوص،

---

(١)- التربية البيئية وسؤالا التنمية والأخلاق " نحو وعي بيئي جديد " – إصدارات مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات (مفاد)- مطبعة دار القلم – الرباط – ط: (١)- سنة ٢٠٢٠/ ص٣.

(٢)- ينظر: البيئة مفهومها العلمي وعمقها الفكري التراثي – رجاء وحيد دويدري – دار الفكر – دمشق – سوريا – ط: (١)- سنة ٢٠٠٤م / ص٢٥.

منها: أن يحاور الأديبُ هذه الطبيعةَ داخل النص، فيتفاعلُ معها ويشعرُ بها، وأن يحمل في نفسه همًّا إيكولوجيًّا يجعله يشارك في نشر الوعي البيئي "[١].

أمَّا في العصر الحديث، فقد وُجد تداخلٌ في مفهوم البيئة؛ بسبب الترجمة التي تصنع أزمةً، بسبب وجود خلطٍ ناتجٍ عن ترجمة ***Ecology*** و***Enviroonment*** إلىٰ اللغة العربية، فيقول المنزلاوي: " ولقد درجنا في اللغة العربية علىٰ إطلاق اسم علم البيئة علىٰ التسمية ***Ecology*** ، فأختلط بذلك الأمر مع مفهوم البيئة بمعنىٰ ***Enviroonment***، وأصبح عالم الإيكولوجي ***Ecologyist*** وعالم البيئة ***Enviroonmentalist*** ، وكأنَّهما مترادفان لمجال عملٍ واحدٍ [٢].

ومصطلح النقد البيئي (الإيكولوجي) حديث، فهو يُمثِّلُ " حقلًا نقديًّا جديدًا شاع في التسعينات من القرن العشرين، عُرف في الأدب الأوربي والأمريكي، وكان ويليام روكيرت أولَ ناقدٍ قام بتوطين مصطلح النقد البيئي [٣].

وهذا المصطلحُ الإنجليزي ***Ecology*** كان موازيًا للمصطلح العربي (علم التبيؤ)، حيث يُعدُّ العالم الألماني "أرنست هايكل" هو أولَ مَن تحدَّث عنه عام ١٨٨٦م، مستخدمًا الكلمة الإغريقية "***Oikos***"، وتعني: منزل الأسرة ونقل دلالتها إلىٰ (منزلنا

---

[١]- شعر معروف الرصافي في ضوء النقد الإيكولوجي – محمد عبد الناصر محمد العنتبلي – حولية اللغة العربية بجرجا – جامعة الأزهر – مج (٢٦)- ج (٥)/ ص٤٣٤٧.

[٢]-البيئة من منظور إسلامي – ياسين عبد الله المنزلاوي – دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع – عمان – الأردن – ط: (١)- سنة ٢٠٠٦م / ص٢٦.

[٣]- النقد البيئي الرؤية والتطبيق دراسة تطبيقية لنماذج شعرية من شعر المدينة والريف للشاعر الجزائري – عبد الملك بو منجل – مجلة دراسات – مج (١٢)- ع (١)- سنة ٢٠٢٣م / ملخص البحث.

– الأرض) ***Earth-Hansehold*** وعنىٰ عنده: دراسة العلاقات التي تربط داخليًّا أعضاء المنزل [١].

حيث إنَّ علمَ الإيكولوجي يهتمُّ بدراسة وتركيب وظيفة الطبيعة، بينما علمُ البيئة يقومُ بتطبيق معلوماتٍ في مجالاتٍ معرفيةٍ في دراسة السيطرة علىٰ البيئة، من أجل حماية المجتمعات، والحفاظ علىٰ البيئة "[٢].

وتطورت دراساتُ الأدب والبيئة تطورًا ملحوظًا، حيث تُوجدُ علاقةٌ تبادليةٌ، بمعنىٰ أنَّ الأدبَ يهتمُّ بدراسة البيئة، والبيئةُ هىٰ التي تحتوي الأدبَ، فظهر مصطلحُ الأدب البيئي، ويشترط فيه "إحساس الكاتب بالبيئة التي يُعدُّ جزءًا منها، وأنَّ الإنسانَ مفردةٌ من مفرداتها، ويُعدُّ الإحساسُ مهمًّا في كونه يجعلنا نتغاضىٰ عن الأدب الواصف للطبيعة دون فهمها ودون محاورتها ودون الوعي بها [٣].

إذن يُشترطُ في الأدب البيئي المشاعرُ والأحاسيسُ، وليس استقصاء للبيئة المحيطة بنا، أي: خيال وعاطفة، فهو "نشاط إبداعي مفكر فيه، وبناء فني، تحركه مقصديات إيكيولوجية وفنية، وفلسفية، وتدفعه نوازع الخوف من احتلال العلاقات بين الكائنات وبيئتها، وهو مشاركة إبداعية تهدف لتأسيس وعي بيئي جديد يكفُّ فيه البشر عن تخريب شروط الحياة، ويُعادُ فيه النظرُ في أساليبهم في التعامل مع الكائنات التي

---

[١]– النقد الأدبي البيئي (النظرية والتطبيق)/ ص٣٤.

[٢]– البيئة من منظور إسلامي – ياسين عبد الله المنزلاوي / ص ٢١.

[٣]– النقد البيئي ونظرية الأدب دراسة في نماذج روائية عربية معاصرة – عبير جودت حافظ عبد الحافظ – جامعة قطر – كلية الآداب والعلوم – يناير سنة ٢٠٢٣م / ص٦٣.

تقاسمهم الوجود علىٰ ظهر الكوكب، ومن ثم التخفف من المركزية التي ظل الإنسان يحتكرها لنفسه، فهو أدب موجه لتعرية النهم البشري للبيئة "[١].

فالأدب البيئي يشترط وجود خيال، إضافةً إلىٰ الوعي، حيث إنَّ النقد البيئي يهتمُّ بـ" دراسة علاقة ما بين الأدب والبيئة الطبيعية، بحث نلمح الوعي البيئي والخيال البيئي في النص [٢]، أي: أنَّ النقدَ البيئيَّ يفتشُ عن السبب وراء وجود البيئة في داخل النص الأدبي، ودراسة مقومات الطبيعة وعناصرها، وممَّا سبق يتضحُ لنا أنَّ النقدَ الأدبيَّ البيئي "الإيكولوجي" يُعنىٰ بدراسة العلاقة بين الأدب والبيئة المادية، ومع أنَّ ظهورَ الدراسات النقدية الإيكولوجية جاء متأخرًا مقارنة بالدراسات اللغوية أو الأدبية البيئية لكنه استطاع أن يُشكِّلُ حركةَ تنويرٍ عالميةٍ أثرت المكتبة الأدبية والنقدية "[٣]، كما يأتي النقدُ البيئي لدراسة تمثيل الطبيعة، وله مجلات عدة، تدرس " البحث عن سر تغير الكتابة الرجالية عن الكتابات الأنثوية، وكيف تغير مفهوم الصحراء في الأدب، وكيف تؤثر الرؤىٰ النقدية في بلاغة النص البيئي "[٤].

---

[١]- من أجل لغة خضراء محاولة في فهم أدب البيئة ونقده – خميسي آدامي – مجلة أبو ليوس – جامعة عباس لفرور – الجزائر – مج (٨)- ع (٨)- سنة ٢٠٢١م / ص١٠٢.

[٢]- انقد الأدب البيئي (النظرية والتطبيق) – محمد أبو الفضل بدران – إدارة الثقافة الإسلامية – الكويت – سنة ٢٠١٠/ ص٣٦.

[٣]- شعر معروف الرصافي في ضوء النقد الإيكولوجي – محمد عبد الناصر محمد العنتبلي – حولية كلية اللغة العربية بجرجا- جامعة الأزهر- ع(٢٦)- ج(٥)- سنة ٢٠٢٢-ص٤٣٤٩.

[٤]- النقد الأدبي البيئي (النظرية والتطبيق)- محمد أبو الفضل بدران / ص٣٤.

ويأتي نجاح الجبيلي ويُوضِّحُ أنَّ تأثيرَ النقد البيئي وصل للمحاولات الأخرىٰ للعالم المادي، فنراه في الفيلم والتلفزيون، والمسرح والقصص وسرود الحياة الحيوانية، والعلم والعمارة، إضافةً إلىٰ الأشكال الأدبية (١).

وامتدَّ النقدُ الأدبيُّ البيئيُّ ليحلل الجوانب الثقافية والأدبية المؤثرة في رؤية الكاتب، ويهتمُّ بالكشف عن الوظيفة البيئية المتوارية خلف الصفة الجمالية، ويهتمُّ بحضور البيئة داخل النص الأدبي، ووجهات النظر الخاصة بالبيئة داخل النص (٢).

وتُوجدُ مصطلحاتٌ عديدةٌ مرادفةٌ للنقد البيئي أسهمت في تشكيله وتكوينه، منها علىٰ سبيل المثال لا الحصر:

النقد البيئي (الإيكولوجي)– النقد البيئي النسوي (الإيكولوجيا النسوية) ـ الإيكولوجيا / البيئة العميقة – الخيال البيئي – التناص البيئي – الوعي البيئي ... (٣).

ويأتي النقدُ البيئيُّ من خلال تمثيل البيئة داخل القصيدة، " وكيف تغيَّر مفهوم الصحراء في الأدب، وكيف تؤثر الرؤىٰ النقدية في بلاغة النص البيئي، أمَّا عن موضوعه، فهو الحوار بين الإنسان وغيرالإنسان " (٤).

---

(١)– ينظر: النقد البيئي مقدمات ، مقاربات ، تطبيقات – نجاح الجبيلي – دار شهريار للنشر والتوزيع – البصرة – العراق – ط: (١)– سنة ٢٠٢١/ ص٥.

(٢)– انقد الأدب البيئي (النظرية والتطبيق) – محمد أبو الفضل بدران / ص٦٦.

(٣)– ينظر: النقد الأدبي البيئي (النظرية والتطبيق)– محمد أبو الفضل بدران / ص ٣١–٣٥ ، ٤٤–١٤٥.

(٤)– النقد الأدبي البيئي (النظرية والتطبيق)– محمد أبو الفضل بدران / ص٣٤.

وللنقد البيئي غرضٌ ليس محددًا بالكتب والمجلات التي تتحدثُ عن الطبيعة والشعر، بل وصل تأثيره للمجالات الأخرىٰ، حيث نرىٰ تأثيره من خلال: الفيلم، والتلفزيون، والمسرح، والقصص، وسرود الحياة الحيوانية، والعلم، والعمارة، إضافةً إلىٰ عددٍ من الأشكال الأدبية "[١].

وخلاصة القول: إنَّ النقدَ البيئيَّ(الإيكولوجي) يهتمُّ بقراءة تمثيل البيئة والمنظومة الطبيعية في الأدب "[٢].

ويُساعدُ علىٰ رفع الوعي البيئي، وإعادة قراءة النصوص الأدبية؛ لفهم العلاقة بين الإنسان والبيئة.

وفي الصفحات القادمة –بمشيئة الله تعالي –سنلقي الضوء علىٰ العلاقة القائمة بين البيئة والنص الشعري ، ومدىٰ حضورها بصورة واضحة وجلية داخل أعمال ذي الرمة.

---

[١]– ينظر: النقد البيئي مقدمات، تطبيقات – نجاح الجبيلي / ص٥.

[٢]– النقد الأدبي البيئي قراءة في مدونة الدراسات العربية البيئية وممارسة تطبيقية علىٰ قصة " رأيت النخل " لرضوىٰ عاشور – عاني علي سعيد – ع (٢٦)– يناير سنة ٢٠٢٦م – مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية – كلية الآداب – جامعة كفر الشيخ / ص ملخص البحث.

المبحث الأول: البيئة المتحركة في شعر ذي الرمة

يقصدُ بالبيئة المتحركة: كل ما هو حيٌّ، و" كل ما يجري فيه ماءُ الحياة، وينبض بالحركة من حيوانٍ أنيسٍ، كالناقة، والفرس، والكلب، والمعز، والغنم، أو حيوانٍ، كالأسد والضبع، والذئب، والثعلب، والحشرات، والهوام "[(١)]، ومن خلال رؤيته الفنية من جهة، وطبيعة حياته من جهةٍ أخرىٰ، استطاع أن يوضح العلاقة القوية بينه وبين البيئة التي يعيش فيها ، كما استطاع أن يُعبِّرَ عن البيئة المتحركة أصدق تعبيرٍ، متأثِّرًا بما يجري من حوله من نماذجَ متحركةٍ في البيئة، وذكر منها:

١ - الحيوانات

الحيواناتُ رفيقةُ الدرب للإنسان في الحياة الموحشة، ممَّا جعلها ملازمةً للشعراء في أشعارهم، وإذا نظرنا إلىٰ شعر ذي الرمة فهو حافلٌ بالكثير من الحيوانات من: إبل، وظباء، وقطا، وحمر وحشية ... في صورةٍ فنيةٍ رائعةٍ، و"انعكست العلاقة الوثيقة بين الإنسان العربي وحيوانات بيئته مع عالمه النفسي، كما تجلت في إرثه الثقافي المتنوع منذ فترة مبكرة من تاريخه، فالمطالع للأدب العربي يجده زاخرًا بالحيوانات بشتىٰ أنواعها: متوحشة، أليفة ... [(٢)]"، وقد وردت في مواضعَ كثيرةٍ في شعره؛ لارتباطه الشديد بها، وكان من بين الحيوانات التي تمَّ ذكرها في شعره:

---

(١) – الوصف في الشعر العربي – عبد العظيم علي قناوي – مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي – مصر – ط: (١)– سنة ١٩٤٩/ ص٤٨ .

(٢)– رمزية الحيوان في ديوان ابن الرومي – ندىٰ جحيش – رسالة ماجستير – المركز الجامعي عبد الحفيظ بو الصوف ميلة – معهد الآداب واللغات – الجزائر – سنة ٢٠٢١/ ص١٢.

الناقة

احتلت الناقةُ في شعر ذي الرمة مكانةً كبيرةً، فكانت ملازمةً له في حله وترحاله، ونقله إلىٰ ديار المحبوبة، وأرض الممدوح، فقد "ارتبطت الإبلُ منذ القدم بالإنسان العربي، وكانت علامةً بارزةً في صحرائه الشاسعة المترامية الأطراف؛ لقدرتها الفائقة التي تناسبُ حياةَ الصحراء، من سرعةٍ، وصبر علىٰ العطش والجوع، ومعرفة الطرق، وحمل الأثقال وغيرها، وصنع العرب من جلدها وأوبارها بيوتهم وألبستهم ونعالهم... [(١)]"؛ ولذلك وصفها في شعره وصفًا دقيقًا، فيأتي مباشرًا في وصفه لها تارةً، وأخرىٰ يأتي بصورٍ حيوانيةٍ مساعدةٍ، فيقول فيها:

ودَفواء حَدباء الذِراع يُزينَها مَلاط تَجافي عن رَحا الزّور أدفن[(٢)]

وصف الشاعرُ في البيت السابق ما تتميز به الناقةُ، فقال: "دفواء"، و"حدباء الذراع"، فهي جميلةٌ وناعمةٌ وقويةٌ، كما يرمزُ إلىٰ أنَّها قادرةٌ علىٰ التكيف مع البيئة المحيطة بها، وقادرةٌ أيضًا علىٰ الصمود أمام الحياة.

وقوله :

قُطِعت إذَا هَاب الضــغَابيسُ هَولِها علىٰ كَورِ إحدَىٰ المشـرفاتِ الغَوارب[(٣)]

وصف الشاعرُ ما تتمتعُ به ناقتُه عن غيرها من الحيوانات من قوةٍ، إضافةً إلىٰ أنَّها تنتمي إلىٰ مشرفات الغوارب، حيث صوَّرَ بيتَ الناقة، ورمز له بالقوة والسرعة، كما أنَّه استخدم الصفاتِ الدالةَ علىٰ قوة ناقته، فقال: "كور"، وهي الناقة التي تتحمل الأثقال، و"المشرفات"، وهىٰ النوقُ التي تتميزُ بهيبتها، و"الغوارب" تُشيرُ إلىٰ النوق التي

---

(١)- الناقة في الشعر الجاهلي دراسة في علم الميثولوجيا – حمود بن خلفان الدغبيشي –حوليات آداب عين شمس – مج (٤)- سنة ٢٠١٢م / ص١٦٩.

(٢)- ديوانه / ١:١٨٢.

(٣)- السابق / ١:٢٣.

تندفع بسرعةٍ، حيث جمعت ناقتُه صفاتٍ تميزُها عن غيرها، جمعت بين الصمود والانطلاق ... إلخ.

وقوله:

قَطعت بخُلفاءِ الدِفوف كأنها من الحقبِ ملسَاء العجيزة ضَامر

سديس تَطاوي البُعد أوحد نابَها صَبي كخر طومُ الشعيرةُ قَاطرة

إذا القومَ راحوا راحَ فيها تَقاذف إذا شَربت مَاء المطي الهَواجر[1]

تعكسُ الأبياتُ السابقةُ البيئةَ الصحراويةَ بصفةٍ عامةٍ، كما عكست صفةَ الصمود والتكيف مع الظروف القاسية عند الإبل، فهي تتحملُ العطشَ، وشدةَ الحرارة لفتراتٍ طويلةٍ.

وقوله:

رَفعتُ لهُ رَحلي علىٰ ظَهرِ عَرمس رَواع الفَؤاد حُرة الوجه عيطل[2]

صوَّر الشاعرُ في البيت السابق الناقةَ بأنَّها رمزٌ للقوة، فهىٰ تتحملُ المشقةَ، كما أنَّها تجمعُ صفاتٍ متعددةً، من بينها: الجمال، والشجاعة، فقال: "رواع الفؤاد"، و"حرة الوجه"، و"عيطل"، وهذه صفاتُها التي تعكسُ رشاقتَها.

وقوله:

طوت لقحًا مثل السرار فبشّرت بأسحم ريّان العسيبة مُسبل[3]

صوَّر الشاعرُ في البيت السابق الناقة رمزًا للجمال والرشاقة في البيئة الصحراوية، كما أنَّه صوَّر البيئةَ الصحراويةَ كرمزٍ للحياة بكل تفاصيلها، وذكر "طوت لقحًا"، فهو يشيرُ إلىٰ حركة الناقة، وقوله: "مثل السوار" يعكسُ مدىٰ جمالها وتناسقها.

---

(١)- ديوانه / ١: ١١٦، ١١٧.

(٢)-السابق / ١: ٢٢٩

(٣)- السابق/ ١: ٢٢٩.

وقوله:

أرىٰ ناقتي عند المُحصَّـــب شـــاقها رواح اليمـاني والهَـديـلُ المُرجَّعُ (١)

عكس البيتُ السابقُ قدرةَ الشاعر علىٰ تصوير الناقة في التنقل والتفاعل مع البيئة، حيث إنَّه استخدم الناقةَ هنا رمزًا للوحدة والصمود، وقدرتها علىٰ السفر لمسافاتٍ طويلةٍ.

وقوله:

وكـائنُ تخطّـت نـاقتي من مفـازةٍ ومن نـائمٍ عن ليلُها متزمّـل (٢)

الناقةُ في حالة حركةٍ مستمرةٍ، وهي مستيقظةٌ في عالمٍ نائمٍ متزملٍ بالنوم، والصحراء مليئة بالتحديات، ولا ينكر دور الناقة داخل الصحراء، وهي ترمزُ للصمود والتحدي، فقال فيها: "نائم عن ليلها"، فهو يشيرُ إلىٰ الشخص الذي ينامُ بعيدًا عن الليل في الصحراء، كما يرمزُ الليلُ إلىٰ الغموض والتحدي والمجهول والمخاطر التي تواجهُ أيَّ إنسانٍ مسافرٍ، وهذا الليلُ يحتاجُ إلىٰ التزمل، وهو الحماية من برده، فمع شدة حرِّها يكونُ بردُها أشدَّ، فيجبُ التكيفُ مع البيئة الصحراوية.

وقوله:

أخـا تـنـاثـف أغـفـىٰ عـنـد ســـاهـمـةٍ بـأخـلـق الـدفِّ مـن تَصـويـرِهـا جـلـبُ

تشكو الخشاشَ ومجرىٰ النِّسعتينِ كما وان المريضُ إلىٰ عوادِهِ الوصـــبُ (٣)

الشاعرُ يصفُ ناقته، ولم يتوقفُ عن ذكرها، ولم يفارقْ وصفها، فهي سريعةٌ وقويةٌ، وعلىٰ الرغم من بعد المسافات إلَّا أنَّها تتحملُ، ولكنَّ قطعَ مثل هذه المسافات

---

(١)- ديوانه / ١:١٥٩.

(٢)- السابق/ ١:٢٣١.

(٣)-السابق/ ١:١٣.

يحتاجُ ناقةً ممتلئةً؛ حتىٰ تستطيعَ السيرَ، فعكس الشاعرُ النومَ وضمورَ الناقة في فلسفته بالبيئة الصحراوية المحيطة به.

وقوله:

جمـاليـةٌ حـرفٌ سـنـادٌ، يشـلـهـا وظيفٌ أزج الخطو رايان سـهوق (١)

وصف الشاعرُ ناقتَه بالقوة، ولها ساق طويل يابس، سريع الخطا، كما رمز البيت السابق للجمال الطبيعي، والقوة في البيئة الصحراوية، وهي ترمز للحياة بكل تفاصيلها.

وقوله:

وكَعـبٌ وعُرقوبٌ كلا منجميهما أشـمُ حَـديـد الأنق عَـار معرق(٢)

وصف الشاعرُ كعب ناقته وعرقوبها بأنَّهما دقيقان محددان الأطراف، خاليان من اللحم، كما رمز الشاعرُ في البيت السابق بالقوة والتوازن، وذكر العرقوب والكعب؛ إشارةً إلىٰ القوة والثبات أثناء السير.

وقوله:

غَـريـريـةٌ في مَشـيِـهـا عَـجـرفـيـة إذا انضَـم إطلالُها و حال حِزامُها(٣)

وصف الشاعرُ في البيت السابق ناقته الهزيلة، وهي نحيفةٌ وضامرةٌ، ولكن مع هذا إلَّا أنَّها طوعُ أمره في سفره، فهنا صورها كرمز للجمال الطبيعي في بيئته الصحراوية، فاستخدم "انضم إطلالها"، وهو يُشيرُ إلىٰ تناسق جسم الناقة، و"حال حزامها" يُوضِّحُ حركة الناقة أثناء مشيها، فجمع بين الحركة وحولان الحزام، فأراد أن يُوضِّحَ لنا أثر البيئة الصحراوية علىٰ حركة السير والمشي.

---

(١)- ديوانه / ١: ١٨١.

(٢)-السابق / ١: ١١٨.

(٣)- السابق / ١: ٢٨١.

وقوله:

تَرىٰ النَاعجاتُ الأدم يَنحىٰ خُدودها سُوىٰ قَصد أيديها سعار مُكافح

لَظىٰ تلفح الحِرباء حتىٰ كأنهُ أخو جرمات برثوبية شايح (١)

وصف الشاعرُ قدرةَ الناقة علىٰ السير في الصحراء وهي ذات لون أبيض، مع وهج الشمس المحرق، وهي ذات قوة وصبر علىٰ المسافات البعيدة، وصوَّر الناقة كرمزٍ للصمود والقوة، ووضح مدىٰ مقاومتها في مواجهة التحديات والمخاطر التي تواجهها في الصحراء؛ فاستخدم كلمة "مكافح" ترمزُ إلىٰ الإصرار علىٰ التكييف مع الظروف الصعبة، و"السعار" يرمزُ إلىٰ شدة الحر والظروف الصعبة، و"قصد أيديها" يدلُّ علىٰ ثباتها في مواجهة المخاطر.

من خلال ما سبق يتضحُ لنا أنَّ الناقةَ حملت في شعر ذي الرمة رموزًا ودلالاتٍ، منها: قدرتها علىٰ مواجهة الصعاب والتحديات، فهىٰ جزءٌ من شخصية الشاعر، ومدىٰ قدرتها علىٰ التكيف مع الظروف القاسية.

- الظباء

علاقةُ الشاعر بالظباء هي علاقةٌ وطيدةٌ، وليست علاقةً شكليةً، وهذا يُؤكِّدُ أنَّ اهتمامَ الشاعر بالظباء يأتىٰ من منطلق تأثُّرِه بها، محاولًا تصويرَ البيئة التي يعيشُ فيها، وهاهو يُصوِّرُ الظباء، قائلاً:

بَرّاقَةُ الجيدِ وَالـلَبّاتِ واضِحَةٌ كَأَنَّها ظَبيَةٌ أَفضىٰ بِها لَبَبُ

بَينَ النَهارِ وَبَينَ اللَيلِ مِن عَقَدٍ عَلىٰ جَوانِبِهِ الأَسباطُ وَالهَدَبُ(٢)

---

(١) – ديوانه / ١: ٥٢.

(٢) – ديوانه / ١: ١١.

صوَّر الشاعرُ الظبيةَ كرمزٍ للجمال الطبيعي البيئي، وقد انعكس علىٰ العلاقة الوطيدة بين البيئة الطبيعية والحيوانات، فجمع بين الجمال الطبيعي للظباء والبيئة، مستخدمًا التشبيه "كأنَّها ..."؛ لتصوير البيئة الطبيعية بطريقةٍ تجعلها قريبةً من خيال القارئ.

وقوله:

أقولُ لنفسي كلَّما خفتُ هفوةً ... منَ القلبِ في آثارِ ميٍّ فأُكثرُ

ألا إنَّما ميٌّ فصبراً بليَّةٌ ... وقدْ يُبتلىٰ المرءُ الكريمُ فيصبِر

تذكِّرُني ميًّا منَ الظّبي عينهُ ... مرارًا، وفاهًا الأُقحوانُ المنوَّرُ(١)

رسم الشاعرُ صورةَ الظباء الجميلة، وربط بين جمالها وجمال محبوبته "مي"، وهنا اتضح التفاعلُ بين الإنسان والحيوان الذي يُمثِّلُ البيئةَ الطبيعيةَ، مستخدمًا الظبي؛ ليستلهم من جمال البيئة وتصوير مشاعره تجاهها، ورمز بالظبي للرقة والجمال.

وقوله:

وكلُّ مُوشاةِ القَوائمِ نَعجةٍ ... ذَرع قد أحَرزتهُ ومطفلُ

تَربع له ربيعُ الهَجان وأقبلت ... لها فَرق الآجال من كُل مُقبل (٢)

صوَّر الشاعرُ جسدَ الظبية، ووصف كلَّ ما فيها من صفاتها، فهذه الظبية "موشاة القوائم"، ففي أقدامها صباحية مختلط بالسواد، ومع جمالها إلَّا أنَّها تتسمُ بالضعف والهزال، وهنا يُؤكِّدُ لنا عن فكرة التفاعل المستمر بين الإنسان والحيوان، وهو جزءٌ من البيئة الصحراوية الطبيعية.

وقوله:

تَذكرنّ مَاء عَجمةِ الرمل دُونه ... فهنُ إلىٰ نحو الجنوبِ صَواقع

---

(١) – ديوانه / ١: ١٠٩.

(٢) – السابق / ١: ٢٧٧.

تصـيفن حتىٰ أوجَف البـارح الصّـفـا ونشـتـغـزيـزُ الـلـوىٰ والـمَصـانـع
يسَـفن الخُزامىٰ بين مَيثاء سـهـل وبـيـن بـراق واجـهـتـهـا الأجـارع
بِهـا العِينُ و الآرامُ فَوضـىٰ كـأنهـا ذُبَـالٌ تـذكَّـىٰ أو نـجـومٌ طـوالِـعُ (١)

صوَّر الشاعرُ في الأبيات السابقة المكان المفعم بالظباء؛ ليخلقَ جوًّا مليئًا بالحركة عند المتلقي، وأشار إلىٰ الظباء في قوله: "بِها العِينُ والآرامُ"، فأشار إلىٰ الآرام، وهي الظباء البيضاء، وهذا يعكسُ التنوعَ البيئيَّ في الصحراء، وذكر كلمة "فوضىٰ"؛ لتوضيح الحركة غير المنتظمة لهذه القطعان، وهذا التصويرُ يُوضِّحُ لنا التفاعلَ المستمرَّ بين الحيوانات والبيئة الصحراوية.

وممَّا سبق يتضحُ أنَّ الظباءَ رمزت في شعره إلىٰ الرشاقة والجمال، والحرية والانطلاق في داخل البيئة الصحراوية.

- **الكلب**

الكلبُ صديقٌ للإنسان يُشاركه في حياته، فيستعين به في حله وترحاله، يحميه ويحمىٰ مغائمه، ويُدافعُ عنه، وقد اتخذ الشعراءُ من الكلاب، وإلفها للوافدين عليهم دليلاً علىٰ كرمهم، وتردد الضيوف علىٰ دورهم؛ ولهذا افتخروا ومدحوا، وذموا وهجوا بنباحها الوافدين " (٢).

فوصف ذو الرمة الكلابَ في شعره وصفًا تفصيليًّا، وهاهو يقول:

وهـنُ مـن واطـىٰ ثَـنـىٰ حـويـتـه وناشجُ وعَواصي الجَوف تنشخب(٣)

---

(١) – ديوانه / ١: ١٥٦.

(٢) – أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي – أحمد محمد الحوفي – مطبعة الرسالة – القاهرة سنة ١٩٥١ / ص١٠١.

(٣) – ديوانه / ١: ١٩.

وضَّح الشاعرُ صورةَ الكلاب بعد خوضهم معركةً ضاريةً، حيث تُعدُّ الكلابُ عنصرًا من عناصر البيئة الطبيعية، ومدىٰ التفاعل بين الكائنات الحية والبيئة، فقال: "وناشج وعواصي الجوف"، وهذا التصويرُ يعكسُ العوائقَ والعقباتِ الطبيعيةَ التي تُواجههم في البيئة الصحراوية، واستخدم الشاعرُ عناصرَ البيئة كرموزٍ تُعبِّر عن مشاعره.

وقوله:

وَلاحَ أَزهَرَ مَشهورٌ بِنَقبَتِهِ كَأَنَّهُ حينَ يَعلو عاقِراً لَهَبُ

هاجت له جوع زرق مخصرة شوازب لاحها التغريث والجنب

غضف مهرتة الأشداق ضارية مثل السراحين في أعناقها العذب(١)

وصف الشاعرُ في الأبيات السابقة رحلةً للصيد، من خلالها استخدم الصياد الكلاب في هذه الرحلة، فكانت كلابُه شرسةً أثناء رحلة الصيد، فانعكس التفاعلُ بين الكائنات (الكلاب) والبيئة الطبيعية، وما تتفردُ به من جمال، فقال: "أزهر"، وهذا يُبرزُ فكرةَ جمال البيئة الصحراوية، فهو يرمزُ للصراع من أجل البقاء.

- الذئب

لقد حظي الذئبُ في الشعر العربي -بصفةٍ عامةٍ-، وعند ذي الرمة -بصفةٍ خاصةٍ- بمكانةٍ لا بأسَ بها، ويُعدُّ الذئبُ من الحيوانات الصحراوية، فهو رفيقُ الصحراء، كما "يُلحظُ أنَّ الصورةَ النمطيةَ للذئب لا تختلفُ في تشكيل عناصرها كثيرًا عمَّا كانت عليه عند الشعراء الجاهليين، فاستحضار الأرض القفار والشق الصعب، ومجيء الذئب ليلًا يشتكي جوعه، ومحاورة الشاعر له ... هي عينُها مفرداتُ الصورة النمطية القديمة(٢)"، يقول ذو الرمة:

---

(١) - ديوانه/ ١: ٢٣١.

(٢)- ديوانه / ١: ١١٠.

بـه الـذئـبُ مـحـزونٌ كـأنّ عُـواءهُ عُـواءُ فَصـيـلٍ آخـرَ الـلـيـلِ مُـحـتَـلِ
يـخـب ويسـتـثـنـىٰ وإن تـأت نـبـأه علىٰ سـمـعـه ينصـت لهـا ثم يمثـل
أفـل وأقـوىٰ فـهـو طـاو كـأنـمـا يـجـاوب أعـلـىٰ صـوتـه مـعـول (١)

وصف الشاعرُ في الأبيات السابقة الذئبَ، وصوتَه أثناء الليل، حيث كان صوتُه قويًّا لمجموعةٍ من الذئاب، وحينما يُصدرُ الذئبُ صوتًا، يكونُ جائعًا يبحثُ عن طعامٍ يسدُّ جوعه، فهذه الأبياتُ ترمزُ إلىٰ الحركة والتفاعل بين الكائنات الحية والبيئة الصحراوية، فـ"الذئبُ محزونٌ" يشيرُ إلىٰ حالة الحزن والعزلة التي يعيشها، ممَّا يعكسُ مدىٰ ارتباطه بالصحراء، وحينما أصدر الذئبُ صوتًا عبَّر عن مشاعره، وهناك علاقةٌ وطيدةٌ بين الحزن والعواء عند الذئب، كما أصبح الذئبُ جزءًا من المشهد البيئي الذي يتفاعلُ معه الشاعر.

وقوله:

وردتـهُ قـبـل الـقِـطـا الإرسَـال وقـيـلَ ورد الأطـلـس الـعَسـال (٢)

وصف الشاعرُ الذئبَ، وهو يرغبُ في الوصول إلىٰ المياه قبل وصول جماعات القطا، فيكونُ الماءُ صافيًا غير مكدرٍ، واستخدم الشاعرُ هنا الذئبَ كرمزٍ للتحدي، فهو يتحدَّىٰ القطا التي تبحثُ عن الماء في رحلاته، فيعكسُ فكرةَ السبق والوصول إلىٰ المياه.

- الحمار الوحشي

ورد الحمارُ الوحشيُّ في الشعر العربي -بصفةٍ عامةٍ-، وعند ذي الرمة كذلك، فالحمارُ الوحشيُّ مرتبطٌ بالشاعر، ولعلَّ مرجعَ ارتباطه يرجعُ إلىٰ ارتباط الشاعر ببيئته في رحاب الصحراء، فجاء الحمارُ الوحشيُّ في قوله:

---

(١) - ديوانه / ١: ٢٣١.

(٢) - السابق / ١: ٢٣٢.

حَداهُن شَحاج كأن سِحيله على حافتِيهن ارتجاز مَفاضح
يُحاذرن من أدفى إذا مَا هو انتَحى عَليهُن لم تنَج الفرود المَشائح
كما صعصع البازي القطا أو تكشفت عن المقرم الغيران عيط لواقح (١)

وصف الشاعرُ في الأبيات السابقة صوتَ الحمار، وكذلك الأتن، وهن يحاذرن من الحمار، وينفردن بطائر الباز، واستخدام الشاعرُ الحمارَ الوحشيَّ كرمزٍ للحركة والصخب، وقوله: "المقرم الغيران" يشيرُ إلىٰ الأرض التي تغيَّرت بفعل التغيرات الطبيعية التي تحدثُ، و"عيط لواقح" ترمزُ إلىٰ الخصوبة، والتفافه بالأشجار.

وقوله:

كأنهن خوافي أجدل قرم ولا تعاب ولا ترمىٰ بها الريب
أذاك أم نمش بالوشي أكرعه مسفح الخد غاد ناشط شيب (٢)

وصف الشاعرُ سرعةَ الحمر الوحشية في الصحراء القاسية، علىٰ الرغم من وجود الصعوبات، واستخدام "كأنهن خوافي" كرمزٍ للحركة، وكذلك "مسفح الخد" – يشيرُ إلىٰ التغيير الذي حدث للوجه بسبب أشعة الشمس، فهنا جمع بين حركة الحمر الوحشية وبين تأثير البيئة عليهن.

وقوله:

تُصْغِي إِذَا شَدَّهَا بِالْكُوَرِ جَانِحَةً حَتَّىٰ إِذَا مَا اسْتَوَىٰ فِي غَرْزِهَا تَثِبُ
وَثْبَ الْمُسَحَّجِ مِنْ عَانَاتِ مَعْقُلَةٍ كَأَنَّهُ مُسْتَبَانُ الشَّكِّ أَوْ جَنِبُ
يَحدو نَحائِص اشباهاً مُحملجةً ورقَ السّرابيل في ألوانِها خَطبُ (٣)

---

(١) – ديوانه / ١: ٥٥.

(٢) – السابق / ١: ١٥.

(٣) – السابق / ١: ١٣.

وصف الشاعرُ صوتَ الحمار الوحشي، وهو يسوقُ الإبل، كما صوَّر صعوبةَ الصحراء، فعكس حركةَ الحمار الوحشي في بيئةٍ قاسيةٍ، فقال: "جنب" كرمزٍ للعطش الشديد الذي يصيبُ الحيواناتِ في الصحراء، فهنا يُوجدُ رمزٌ للحركة والتفاعل داخل الصحراء.

- **الثور**

ورد ذكرُ الثور في الشعر العربي، ومهاجمة كلاب الصيد له، ولكنه ينتصرُ عليها، وهو أيضًا ابن الصحراء، يتأثَّرُ بها وبمناخها،" إذن فالصورة الكثيرة التي تعني الحيوان ولا سيما الثور الوحشي تُعدُّ مظهرًا من مظاهر القصيدة الجاهلية، حيث جال فيها كثير من الشعراء (١)

يقول ذو الرمة:

كـأنـه كـوكـب في إثـر عِـفْـرِيَـةٍ مُسَـوَّم في سـواد الليل مُنْقَضِـب(٢)

وصف الشاعرُ سرعةَ جريه بعد هجومه علىٰ كلاب الصيد، وهو كالكوكب المنقض علىٰ الشيطان في سواد الليل، فيصوِّرُ قوةَ الثور في الحياة البرية، فيعجبُ الشاعرُ به وبقوته، مستخدمًا للعناصر الطبيعية (الكوكب – الليل)، فالكوكبُ يُمثِّلُ الثورَ في قوته وجبروته، والليل هو الذي يكونُ فيه الثورُ أكثرَ حيويةً ونشاطًا، كما أنَّه يُمثِّلُ المخاطرَ في الصحراء، ولمح إلىٰ قرب نهاية الثور حينما قال: "منقضب".

وقوله:

جَرَىٰ أَدْعَجُ الْقَرْنَيْنِ وَالْعَيْنِ ، وَاضِحُ الْقَرَا ، أَسْفَعُ الْخَدَّيْنِ بالبَينِ بارح (٣)

---

(١)-النسق الأسطوري في القصيدة الجاهلية "صورة الثور الوحشي عند النابغة أنموذجًا" – محمد علي الشهري – مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة – جامعة الأزهر -ع (٣٢)-ج (٣)-سنة ٢٠١٣م / ص٣٦٥.

(٢) – ديوانه / ١: ١٩.

(٣) – السابق / ١: ٥٠.

وصف الشاعرُ الثورَ بأنَّه أسودُ القرنين والعين، وأبيضُ الظهر، وفي خده سوادٌ، فيرمزُ الشاعرُ إلىٰ صراعٍ بين اليأس والأمل.

وقوله:

تَجلو البوارقُ عن مجرمزٍ لهقٍ كأنهُ متقبِّي يَلْمَقٍ عزب (١)

وصف الشاعرُ لونَ الثور بأنَّه ذو لونٍ أبيضَ وخطوطٍ سوداءَ، وشبَّه بياضَه بالقباء الأبيض، فهو أشبه بالشخص الذي يرتدي قباء أبيض اللون، ويرمز بـ"المجرمز اللهق" إلىٰ القوة الكامنة، كما أنَّ الرمزيةَ البيئيةَ تكونُ أكثرَ وضوحًا في وجود علاقةٍ قويةٍ بين البيئة والثور، وهنا يُوضِّحُ أهميةَ عناصر البيئة.

(١) – ديوانه / ١: ١٦.

المبحث الثاني: البيئة الصامتة في شعر ذي الرمة

يُقصدُ بها "مظاهر الطبيعة ووجودها المتجسد في: سهولها، وبحارها، وأنهارها، وبواديها، وحدائقها، وما إلىٰ ذلك، ويقسمها البعض إلىٰ: طبيعة طبيعية، وأخرىٰ صناعية، والطبيعة الصامتة الطبيعية أكثر ملاءمةً لمفهوم كلمة (طبيعة)، وأكثر إيحاءً للحس الطبيعي، فهيٰ التي تحدثُ في النفس ذلك الحس الشعوري الذي ينبض بجمالها"(١).

وقد استطاع ذو الرمة تصويرَ البيئة الصامتة خيرَ تصويرٍ، وبأصدق تعبيرٍ، ومنحها الحياة ، واتضح ذلك من خلال حديثه عن:

١-الصحراء

عاش الشاعرُ في بيئةٍ ممتدةٍ ومترامية الأطراف، فتأثَّر بها، وبكل جزءٍ منها، حيث إنَّ الصحراءَ أمامه متباينةٌ، فيها الجبال، والوديان، والكثبان، والحيوان، والسماء، والنجوم، فقد عاش " في تلك البقاع الممتدة قوي التفكير بعيد النظر، استطاع أن يُصوِّرَ الصحراءَ في كل مراحلها ونظمها، وأن يربط بين الجزئيات المكونة لكل مفرداتها وتكاملها، وينظر للكون نظرةً شموليةً، ويحس بوحدة الحياة وتكاملها؛ لأنَّه واسعُ الفكر والرؤية، وتمثَّل ذلك في أشعاره، فالصحراءُ أمامه وحداتٌ مختلفةٌ، فيها الجبل والكثيب والوادي ... (٢)"، كما تكمنُ أهميةُ الصحراء في تجاوزها الأسماء والصفات إلىٰ دلالاتٍ تُفهمُ من خلال المضامين، وهذا ما ورد في قول الشاعر:

كَـأَنَّ مَـطـايـانـا بِـكُـلِّ مَـفـازَةٍ قَـراقـيرُ في صَـحـراءِ دِجلَـةَ تَسـبَحُ

(١) – في الأدب الأندلسي – جودت الركابي – دار المعارف – مصر – ط: (٦)– (د.ت)/ ص١٢٦.

(٢)– الصحراء في الشعر الجاهلي – محمد صديق حسن – رسالة دكتوراه – كلية الدراسات العربية – جامعة أم درمان – السودان – سنة ٢٠٠٨م / ص١، ٢.

أَبىٰ القَلبُ إلاّ ذِكرَ مَيّ وَبَرَّحَت بِهِ ذاتُ أَلوانٍ تَجِدُّ وَتَمزَحُ (١)

وصف الشاعرُ مطاياه، وهيٰ في المفازة، وكأنَّها قراقير، تسبح في نهر دجلة؛ لتعكس مدىٰ المعاناة التي يعانيها الشاعر في رحلته، وقد أتىٰ الشاعر بذكره للصحراء هنا كبيئةٍ صعبةٍ تتطلب الصبر والجلد، ولكن علىٰ الرغم من المعانة في سفره إلَّا أنَّ المطايا سواء أكانت إبلًا أم خيلًا تتحرك بانسيابيةٍ وهدوءٍ كالقوارب وسط الصحراء، وربط الشاعر في البيت الأول اليابسة بالماء، من خلال الصحراء والقوارب، وهذا يدلُّ علىٰ مدىٰ دقته في تصوير رحلته التحديات والمخاطر التي تواجهه، ومدىٰ تأقلمه مع كل البيئات سواء أكانت برية (الصحراء) أم بحرية (القوارب).

وقوله -أيضًا-:

تَرىٰ فيه أطَراف الصحَارىٰ كأنها خياشيمِ اعلام تَطول وتقصر

يُظل بها الحِرباء للشَمسِ ماثلاً علىٰ الجذلِ إلا أنهُ لا كبّر

إذا حَول الظّل العشي رأيتهُ حنيفاً وفي قرنِ الضُحىٰ ينتصر(٢)

وصف الشاعرُ في الأبيات السابقة أطراف الصحراء وكأنَّها قممٌ جبليةٌ، هذه القممُ ليست ثابتةً، فتطول مرةً وتقصر أخرىٰ، ففي البيت الأول ذكر الصحراء، ولكن كان ذكرها ليست امتدادًا جغرافيًّا، بل كان حيًّا ينبض ويتنفس، كما يوضح لنا مدىٰ تفاعل الرياح مع الصحراء، ففيه يعكس طبيعة البيئة المتغيرة، وهذا يظهر براعة ذي الرمة في توظيف الصحراء.

---

(١)- ديوان ذي الرمة – قدَّم له وشرحه / أحمد حسن بسج – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط: (١)- سنة ١٩٩٥/ ١:٤٨.

(٢)- ديوانه/ ١:١١٠.

وقوله:

إذا غَيَّرَ النأىُ المحبِّينَ لم يكدْ رَسِيسُ الهَوَىٰ من حبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ (١)

يُشيرُ الشاعرُ إلىٰ أنَّ البعدَ -عادةً- ما يُضعفُ الحبَّ بين العشاق، ولكنَّ الحبَّ الحقيقيَّ لا يتغيَّرُ ولا يتأثَّرُ ببعد المسافات، حيث استخدم النأي هنا؛ ليعبِّر عن المسافة الجغرافية، ومع البعد إلَّا أنَّ الحبَّ حاضرٌ، فهنا يرمزُ إلىٰ الوفاء والارتباط العاطفي العميق.

وقوله:

ذكرتك إذ مرّت بنا أم شادنٍ أمام المطايا تشرئب وتسنحُ (٢)

صوَّر الشاعرُ مشهدًا طبيعيًّا في البيت السابق، ولكنَّه لم يذكر الصحراء، وإنَّما وصف الترحال عبرها، وما فيها من ظباء، ومطايا، وهنا يبحثُ عن شيءٍ مفقودٍ، مع ترقبٍ وانتظارٍ شديدٍ للمحبوبة، فرمز من خلال البيت إلىٰ الجمال الطبيعي الذي يذكره بمحبوبته.

وقوله:

كرهاء بساط الظهر شيء مخوفة علىٰ ركبها إفلاتها وضلالها(٣)

استخدم الشاعرُ الصحراءَ هنا كرمزٍ للتحدي والتيه، كما استخدمها -أيضًا- للتعبير عن مشاعره وعواطفه الدفينة، فأشار إلىٰ امتداد الصحراء، ممَّا يعكسُ البيئةَ الصحراويةَ المفتوحةَ من خلال قوله: "رهاء"، وبعدها قال: "مخوفة"؛ لأنَّ الصحراءَ مليئةٌ ومحفوفةٌ بالمخاطر، وهذه كلها تحدياتٌ تُواجهُ المسافرَ في سفره في الصحراء.

---

(١)- ديوانه / ١:٤٣.

(٢)- السابق/ ١:٤٤.

(٣)- السابق ١:٢٣٦.

وقوله:

تَـمـوتُ قـطـا الـفـلاة بِـهـا أواما ويَـهـلـكُ في جـوانِـبـهـا الـنّسـيـم

بـهـا غَـدر ولـيـسَ بـهـا بـلالِ وأشـبَـاح تَـحـولُ ومـا تَـريـم (١)

وصف الشاعرُ الصحراءَ وما يُواجههُ فيها من مخاطر في أثناء سيره، ويتعرضُ مَن يمرُّ فيها للموت، والحياة فيها مجدبة، فيُظهرُ الشاعرُ -من خلال وصفه البيئة الصحراوية-قسوةَ الحياة وتحدياتها، فهي ليست مكانًا آمنًا، إضافةً إلىٰ أنَّها مليئةٌ بالتناقضات، ففيها هدوء "البلال"، وفيها قسوةٌ، فهو يرمزُ للتحولات الزمنية وانعدام الحياة.

وقوله:

ومن جَردِة غَضـل بسـاطُ تَحاسـنت به الوشـي قرّات الرّياح وخورها(٢)

اتضحت الرمزيةُ البيئيةُ من خلال ارتباط الشاعر العميق بالبيئة -بصفةٍ عامة-، والصحراء -بصفة خاصة-، حيث استخدم الشاعرُ "الجردة"، وهي تشير هنا إلىٰ الأرض الواسعة التي لا زرعَ فيها ولا ماء، فهنا ظهرت قسوة الصحراء، وأنَّ الصحراءَ "غضل" بدون علاماتٍ أو إشاراتٍ تُوضِّحُ الطريقَ للسالك، وتُعينُه علىٰ معرفة دروبها، وهذا يُوضِّحُ مدىٰ الغموض ... كما أنَّ الشاعرَ صوَّر البيئةَ الصحراويةَ وهيٰ تتفاعلُ مع عناصرها من: رياح، ورمال، وخورها، وهو يرمزُ إلىٰ الضعف الإنساني، كما يشيرُ إلىٰ ضعف الرياح.

وقوله:

ودَاويـةُ جَـرداءُ جّـداء جَـثـمـت بهَا هَبوات الصَّيف من كلِ جَانب (٣)

---

(١)_ ديوانه / ١:٢٦٣.

(٢)_ السابق/ ١:١٤٠.

(٣)_ السابق ١:٣٢.

وصف الشاعرُ الصحراءَ القاسيةَ بهذا الوصف، حيث إنَّها جمعت بين الجفوة والعزلة، ومواجهة البيئة القاسية من قبل الإنسان، حيث أدت الرياح الساخنة دورًا كبيرًا وواضحًا في إبراز القسوة، فالصحراء تتطلب الصبر والتحمل، فأتىٰ بـ"هبوات الصيف" ، وهىٰ ترمز للقسوة والرياح الساخنة التي تهب في فصل الصيف، كما أنَّها ترمز للصراع مع الظروف الصحراوية القاسية، فأتىٰ بقوله: "من كل جانب"، هذا دليلٌ علىٰ أنَّ الرياحَ من كل جانبٍ فلا مهربَ منها ولا مفرَّ، فالبيئةُ تهاجمُ الإنسان، وهىٰ مليئةٌ بالتحديات والصراعات.

وقوله:

وهَـاجـرةُ شَـــهـبـاءُ ذات وديِـقـة يَكادُ الحَصىٰ من حمِيها يتَصـدّع (١)

أسهب الشاعرُ في وصف الصحراء وذكرها في أكثر من موضع في شعره، حيث إنَّها تُعدُّ دليلًا علىٰ كثرة ترحاله، وما يُوجدُ فيها من حرٍّ شديدٍ يكادُ يفلقُ الحصىٰ من شدة الحر، فاستخدمها كرمزٍ يُعبِّرُ من خلالها عن شدة الظروف وتأثيرها علىٰ الكائنات الحية، فوقت الظهيرة أو الهاجرة في الصحراء يعكسُ قسوةَ البيئة، وشدة الحر الذي يجعل التنقل في الصحراء صعبًا وتحديًا للبشر، وهذه الصحراءُ قاسيةٌ وفيها جفافٌ، ولا وجودَ لأي حياةٍ فيها، كما أنَّ الشاعرَ وضَّح تأثيرَ الحرارة علىٰ البيئة، فقال: "يكاد الحصىٰ من حميها يتصدع"، أي: تكادُ الأرضُ من شدة الحر في الصحراء تتفككُ تحت شدة الشمس، فالصحراءُ مليئةٌ بالتحديات والحرارة شكَّلت دورًا واضحًا في القسوة.

(١)- ديوانه / ١:١٦٠.

وقوله في الحديث عن الجبال:

كم دون مية من حزق ومن علم كأنه لامع عريان مسلوب(١)

وصف الشاعرُ الجبالَ التي تحول بينه وبين محبوبته، موضِّحًا الرمزيةَ البيئيةَ من خلال تصوير عناصر البيئة، وإضفاء الرمزية عليها، فـ"مي" ترمزُ للغاية المنشودة التي يسعىٰ الشاعرُ الوصول إليها بعد عبوره واجتيازه الصحراء القاسية، وذكر في سفره "الحزق والعلم"، فكلاهما يرمزان إلىٰ التحديات والصعاب التي يواجهها في سفره، كما ذكر "اللمعان"، وهىٰ رمزٌ للخديعة، فهىٰ كالسراب أو الأمل المزيف والزائل، وذكر كلمة "مسلوب" أي: تمَّ تجريده من الحياة، وسلبت منه، فالشاعرُ يبحثُ عن أهداف وسط تحديات الصحراء وصعوباتها.

وقال في وصف رمال الصحراء:

أغرّ كلون المِلح ضَاحىٰ تُرابه إذا استوقدت حزّانه، وسباسبهُ (٢)

يعكسُ هذا البيتُ براعة الشاعر في تصوير بيئته الصحراوية التي عاش فيها، هذه البيئة القاسية علىٰ الحياة، كما اتضحت الرمزية البيئية من خلال قوله: "أغر كلون الملح" تُشيرُ إلىٰ اللمعان، وهذا اللمعانُ ما أجمله تحت أشعة الشمس، وكلمة "ضاحي ترابه"، أي: التراب المكشوف تحت أشعة الشمس، يكون ساخنًا علىٰ الحيوانات، وكل مَن يمشي علىٰ الأرض، وهذا يُوضِّحُ لنا التحدياتِ التي تواجهها الكائنات الحية في هذه البيئة القاسية، فالبيئةُ مليئةٌ بالتناقضات من حيث جمالها وقسوتها.

---

(١)- ديوانه / ١:٢٣.

(٢)- السابق / ١:٢٦.

وقوله في وصف الرياح:

بِـهُـمـاءُ هَـيـمـاءُ وخـرقٌ أهـيـم هَـور عَـلـيـه هـبـواتَ جـثـم

الـمـرَيـح وشَـــي فَـوقـه مـنـمـنـم نَســجـان هـذا مَســحـل ومُبـرم (١)

صوَّر الشاعرُ البيئةَ الصحراويةَ، فوصف الرياح القوية، فقال: "هبوات"، وقال: "جثم"، وهيَ رياحٌ ثقيلةٌ ومستقرةٌ علىٰ الأرض، وهنا يظهر التناقض بين شدة الرياح وحركتها من ناحية وثباتها من ناحية أخرىٰ، وكذلك بين الجمال والقسوة، فقال: "منمنم"، وهذا يعكسُ جمال الطبيعة والإبداع فيها، وكذلك في قوله: "وشي فوقه"، فيُشيرُ إلىٰ العلامات أو الإشارات التي تتركها الرياحُ علىٰ سطح الأرض.

- الليل

طرق الشعراءُ في الشعر العربي كل ميدان، فصوروه، وصوروا الصحراء بكل ما فيها من حيوانات ونباتات، وكان لليل نصيبه في الوصف، واستخدموه رمزًا للدلالة علىٰ ما رسمته مخيلات الشعراء فصوَّروه بما يتماشي مع خيالهم وعقولهم، "فالليل يُمثِّلُ هاجسًا مركزيًّا بسبب الظلام الدامس الذي يستر الأشياء، ويجعل المرء عديم الجدوىٰ؛ إذ يشله عن الحركة التي اعتاد ممارستها في النهار ويدخله في دوامة القلق والتوتر(٢)، كما أنَّ الليلَ صديقُ الشعراء يأنسُ بهم ويؤنسون به، يتسامرون في الصحراء الشاسعة، يقرون ضيوفهم، يبثون شكواهم، وهكذا "يظل الليل صديق الشعراء، وصاحبهم في مشاعرهم، وبث شكواهم والشعراء أكثر قربًا من الليل، هم مَن يستطيع وصفه ومناجاته في قصائدهم، وكأنَّه يحدثهم، ويتغنَّىٰ معهم في قصائدهم (٣)".

---

(١)- ديوانه / ١:٢٥٣ ، ٢٥٤.

(٢) - الزمان والمكان في الشعر الجاهلي – باديس فوغالي – عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع – عمان – الأردن – ط: (١)- سنة ٢٠٠٨/ ص١٣٠.

(٣)- الليل في الشعر العربي – من العصر الجاهلي إلىٰ العصر العباسي – كوثر علي محمد علي – رسالة دكتوراه – جامعة أم درمان الإسلامية – كلية اللغة الإسلامية – السودان سنة ٢٠١٤/ ص١٠ ، ١١.

وقد ورد ذكر الليل في شعر ذي الرمة في قوله:

ودَوِّيَّةٍ مثلَ السماءِ اعتَسَفْتُها وقد صَبغَ الليلُ الحصىٰ بسَوادِ

بها من حسيسِ القَفْرِ صوتٌ كأنه غِناءُ أناسِيٍّ بها و تَنادِ(١)

لقد وصف الشاعرُ الليلَ بعتمته الشديدة، فاصطبغ الحصىٰ بالسواد، ولم يظهر أو يتلألأ ضوء القمر، فساد الظلام في كل مكان، إضافةً إلىٰ الليل ظهرت الصحراء، بأصواتها المبهمة التي يكتنفها خوف ووحشة، فذكر "حسيس القفر" كرمز للصمت والوحدة، والأصوات المرعبة الموجودة في الصحراء، وورد ذكر الليل هنا؛ ليرمز إلىٰ الغموض والرهبة التي ترافقه في الصحراء.

وقوله:

فلما كسا الليلُ الشُّخوصَ تحلَّبَتْ علىٰ ظَهرِهِ إحدىٰ الليالي المَواطِرِّ

وهَاجت لهُ من مطلعِ الشّمس حرجف تَوجه أسباط الحُقوق التباهر (٢)

وصف الشاعرُ الليلَ بأنَّه إنسانٌ يكسي ظلمته كل الكائنات الحية، فعمَّ السوادُ الحالكُ كلَّ شيءٍ، وهذا فيه دليلٌ واضحٌ علىٰ كثرة الهموم والحالة النفسية السيئة التي يعانيها الشاعر.

وقوله:

للجنِّ بالليل في أرجائها زجلٌ كما تناوح يوم الرّيح عيشومُ

هنّا وهنّا ومن وهنّا لهنّ ذات الشمائل والأيمان هينوم (٣)

يقولُ الشاعرُ: إنَّ للجنِّ صوتًا يُسمعُ من هنا وهناك، في ليل صاخب غير ساكن، هذه الأصوات تشبه أصوات أشجار العيشوم حين تهب عليه الريح، اجتمعت أثناء

---

(١) – ديوانه / ١: ٦٩.

(٢) – السابق / ١: ١٣٧.

(٣) – السابق / ١: ٢٥٧.

رحلة الشاعر وعواطفه الجياشة الصحراء الواسعة الموحشة وظلمة الليل، وأصوات غير مفهومة، فارتبط الليل بحالة الشاعر النفسية، واستخدم الشاعرُ البيئةَ الصحراويةَ كرمزٍ للصوت والحركة في الليل.

وقوله:

وَلـيـلٌ كـأثـنـاءُ الـرُويـزي حَـبـتـهُ ... بـأربعةٍ والشّـخصُ في العينِ واحـدِ

أصـم عَـلافي وأبـيـضُ صَـارم ... وأعيسُ مهري وأشـعـثُ مـاجـدِ (١)

صوَّر الشاعرُ الليلَ في بسط سلطته وظلمته وسواده بالطيلسان، وأنَّ الشخصَ وغيره في عين مَن نظر إليه واحدٌ من شدة السواد، ووجود صراعٍ بينه وبين الليل البهيم صاحب السلطة، وهو لا ينكسرُ أمامه، فاستخدم الليلُ كرمزٍ للظلام والسواد، وهذا يعكسُ فلسفتَه في التصوير.

وقوله:

وحَـيـرانُ مُـلـتـج كـأن نُـجـومَـه ... ورَاء القِتـام العَـاصـب الأعيُن الخَزر

تَعسـفتـهُ بـالرَكـبِ حتىٰ تَكشَـفـت ... عن الصـهبُ والفتيانُ أرواقه الخَضـر(٢)

يصورُ الشاعرُ الليلَ بأنَّه إنسانٌ حيران، متخبط ، يشعرُ بالاضطراب وعدم الثبات علىٰ رأي، ومتوتر، وكذلك النجوم في هذا الليل، فالارتباطُ جاء في الألفاظ، حيث إنَّ الليلَ يرمزُ إلىٰ الهموم والأحزان، بينما النجوم ترمزُ إلىٰ جلاء الهموم والأمل في الحياة.

وقوله:

أنـاخوا لتطوىٰ تحـتَ أعجـازِ سـدفـةٍ ... أَيَـادِي الْـمَهَـارَىٰ وَالجُفُونُ سَـوَاهِـدُ

وَأَلْقَوْا لأَحْرَارِ الْوُجُوهِ عَلَىٰ الْحَصَـىٰ ... جـدائـلَ مـلـويَّـا بـهـنَّ السَّـواعـدُ(٣)

---

(١) – ديوانه / ١: ٦٦.

(٢) – السابق / ١: ١٠٤.

(٣) – السابق / ١: ٦٥.

عبَّر الشاعرُ في السابق عن الليل بـ"أعجاز سدفة"، والمقصود بها: أواخر الليل، حيث اختلط الظلام بالنور، والحركة بالهدوء في البيئة الصحراوية، وهذا يعكسُ ديناميكية الحياة في الصحراء.

وقوله:

وَريحُ الخُزامىٰ رَشــها الطل بعدما دَنا الليل حَتىٰ مسها بالقوادم

أولئك آجال الفتىٰ إن أردنه بقتلٍ وأسباب السقام الملازم(١)

وصف الشاعرُ الليلَ وربطه بنبات طيب الرائحة (الخزامي)، فأخذت حبات الندىٰ تتساقط علىٰ أوراقها، فيفوح عطرها وشذاها في جميع الأماكن، فرمز لدنو الليل بالسكينة "ومسها القوادم"؛ لتوضيح التفاعل بين الضوء والظلام.

وخلاصة القول: إنَّ شعرَ ذي الرمة في الليل جاء ليُعبِّرَ عن مشاعره ممزوجة بالهموم والأرق، والشعور بالخيبة، وافتقاد الأمل، والتشاؤم من الحياة، وغلبة اليأس.

الأطلال

كان الشعراءُ -قديمًا- يخاطبون الأطلالَ ويحنون إليها، ويضفون عليها صفات الأحياء، فيقومون بتشخيصها وأنسنتها، فالأطلال تُمثِّلُ وجدانَ الشعراء، وتحملُ دلالاتٍ ورموزًا مختلفةً، فالمقدمة الطللية لها القدرة علىٰ الحنين بمشاعر الشاعر، فهي: " واحدة من الشذرات المضيئة التي يمكن أن يصل عبرها إلىٰ إحباطات ومكبوتات المجتمع، وإلىٰ تطلعاته وأشكال انسلابه معًا، أي: هي وسيلةٌ من وسائل إغناء فهمنا لمجتمع معين "(٢).

---

(١) - ديوانه / ١: ٢٧٢.

(٢) - مقالات في الشعر الجاهلي - يوسف اليوسف - دار الحقائق - ط: (٤)- سنة ١٩٨٥/ ص١١٨ .

كما يُلحظُ من خلال دراسة شعر ذي الرمة أنَّه وقف علىٰ الأطلال في جل قصائده، فيقول:

وقفت علىٰ ربع لمية ناقتي ... فما زلت أبكي عنده وأخاطبه

وأسقيه حتىٰ كاد مما أبثه ... تكلمني أحجاره وملاعبه (١)

حيث إنَّ مقدماتِه ووقوفَه علىٰ الأطلال صدرت عن تجارب شخصية مرَّ بها، فهو شعورٌ صادقٌ ومعبِّرٌ عن تجربته الشعرية(٢).

فهو يصفُ رحلةَ محبوبته "مي" وفراقها، ويصفُ طيفَها الزائرَ وما يلمُ به في لياليها الطويلة(٣).

وقوله:

قف العيس في أطلال مية فأسأل ... رسومًا كأخلاق الرداء المسلسل

أظن الذي يجدي عليك سؤالها ... دموعًا كتبذير الجمان المفصل

وما يؤم حزوي إن بكيت صبابة ... لعرفان ربع أو لعرفان منزل (٤)

تمَّ تصويرُ الأطلال في الأبيات السابقة كرمزٍ للفقد، حيث أصبحت الأماكنُ غير مأهولةٍ بقاطنيها بعد ما رحل عنها الأحبة، وتغيَّرت الديار، ممَّا جعل الحزن يعمُّ ويخيمُ علىٰ الأماكن.

---

(١) - ديوانه / ١: ٢٣.

(٢) - ينظر: ذو الرمة شاعر الحب والصحراء -يوسف خليف- دار المعارف- مصر- ط: (٢)- (د.ت)/ ص١٤٨.

(٣) - ينظر: في الشعر الإسلامي والأموي - عبد القادر القط - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت - سنة ١٩٧٩/ ص ٣٩٦.

(٤) - ديوانه / ١: ٢٢٥، ٢٢٦.

وقوله:

بـهـا كـل خـوار إلىٰ كـل صـــعـلـة ضـــهول ورفض المذرعات القراهب

تـكـن عـوجـة يـجـزيـكـهـا الله عـنـده بها الأحراز تقضـي ذمامة صـاحب

وقـفـنـا فسـلـمـنـا فـردت تـحـيـة علينا ولم ترجع جواب المخاطب(١)

صوَّر الشاعرُ في الأبيات السابقة الحيوانات، وهي تتفاعلُ مع البيئة، وصوَّرها – أيضًا–حينما ألقىٰ السلام والتحية عليها فلم تجبه، فأصبح الصمتُ مخيمًا علىٰ الأماكن المهجورة بسبب الفقد، فهو يرمزُ للتكيف مع البيئة علىٰ الرغم من الفقد.

ويُعدُّ الوقوفُ علىٰ الأطلال " نتيجةً من نتائج فعل الطبيعة التي لم يستطع مجابهتها أو محاربتها؛ لذا جاءت مقدماتُه الطلليةُ حزينةً مبللةً بالدموع الغزيرة، بل قل: تُصوِّرُ قمةَ انكسار الذات الإنسانية "(٢).

وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ الأطلالَ لم تكن تُمثِّلُ أماكنَ فارغةً فقط، بل كانت تحملُ بين جنباتها دلالاتٍ فلسفيةً وبيئيةً يُمكنُ اعتبارها توثيقًا للتغيرات البيئية بفعل العوامل البيئية.

- النباتات

يحتلُّ وصفُ النباتات مكانةً كبيرةً في الشعر العربي، فعرف الشعراءُ النباتاتِ بأنواعها المختلفة، وذكروها في أشعارهم بدلالاتٍ متباينةٍ، وارتبط تنقل الإنسان في الصحراء؛ سعيًا وراء الكلأ، " وذكر النبات وما به من خضرة وثمار، قد مثَّل الحياةَ والأملَ في الغد، فبعد أن صوَّر الشاعرُ الديارَ الخربةَ بعد رحيل الأحبة جعل الحياةَ تدبُّ

---

(١) – ديوانه / ١: ٣١.

(٢) – فاعلية المكان في بناء القصيدة عند ذي الرمة – مقدمة القصيدة نموذجًا – أمل طاهر نصير – مجلة جامعة الملك سعود– الآداب – مج (١٥)–ع (٢)/ ص١٣.

في الديار بفضل النباتات ونموها واخضرارها [١]"، فترىٰ ذا الرمة يقول - في وصفة نبات الزرق-:

فَما رَوضةٌ من حُرِ نجد تَهللت عَليها سماءٌ ليلةٌ والصبا تسري

بها ذُرقٌ غض النبات وحنوة تعاورها الأمطار كفراً علىٰ كفرِ [٢]

وصف الشاعرُ روضةً من رياض نجد، وما يُوجدُ فيٰ هذه الروضة من نباتاتٍ، وسقطت عليها الأمطارُ، فأخذت رائحتُها تفوحُ من نبات الذرق والحنوة، حيث يُجسِّدُ الشاعرُ الثنائيةَ بين القسوة والرقة فيٰ الصحراء، فشدةُ الحرِّ تُؤدِّي إلىٰ الهلاك، بينما الليل والرياح يرمزان للحياة.

مُكورًا وجِدرًا من رخُامي وحَلفة ومَا اهتزُ من ندائِه المتربل [٣]

ذكر الشاعرُ فيٰ البيت السابق النباتاتِ التي تعيشُ في الصحراء، حيث تُسقَىٰ هذه النباتات من برد الليل الذىٰ تسقط علىٰ أيام الصيف، وذكر من هذه النباتات: المكور، الجدر، الرخامىٰ، الثداء، والحلفة، فالبيتُ يُعبِّرُ عن صمود البيئة في وجه الظروف القاسية؛ وذكر النباتات لترمز إلىٰ الحياة فيٰ الصحراء القاسية.

وقوله:

أجدت بأغباش فأضحت كأنها مواقير نخل أو طلوح تواضر

ظعائن لم يسكنّ أكناف قرية بسيف ولم تنقض بهن القواطر [٤]

---

(١)-ألفاظ الطبيعة في جمهرة أشعار العرب "دراسة أسلوبية" - نبيل خالد أبو علي - ، سعد عودة عدوان - مجلة جامعة الأقصىٰ للعلوم الإنسانية - مج (٢٢)-ع (٢)- يونيو سنة ٢٠١٨م / ص٧٤.

(٢) - ديوانه / ١: ١٢٤ .

(٣) - السابق/ ١: ٢٣٠ .

(٤) - السابق / ١: ١١٥.

ذكر الشاعرُ أشجارَ الطلح، ووجدت أشجار الطلح في وصف الظعائن أثناء مسيرة الركب، وهي ترمزُ إلىٰ ضخامة الحمولة التي تحملُها الرحلةُ عبر الصحراء الشاسعة، حيث إنَّ الصحراءَ عادةً ما تكونُ عرضةً للرياح وشدة الحر.

وقد نظر ذو الرمة إلىٰ النباتات كعناصرَ متحركةٍ، وكرموزٍ نابضةٍ بالدلالات في البيئة الصحراوية، حيث إنَّ الشاعرَ استعرض في أشعاره صورَ النباتات المتنوعة، كما وضح لنا العلاقة بين النباتات والصحراء.

المبحث الثالث: دلالات الرمزية البيئية في شعر ذي الرمة البيئي

أ- الدلالة النفسية

هو ما يبثُّه الشاعرُ فيها من أنفاسه الذاتية، وتشكيل الأحاسيس والمشاعر، ومدىٰ تأثير بيئته فيه، واستخراج ما يطرأُ عليه من تغييرات، فـ" النفسُ تصنعُ الأدبَ، وكذلك يصنعُ الأدبُ النفسَ، النفس تجمع أطراف الحياة؛ لكي تصنع منها الأدب، والأدب يرتاد حقائق الحياة؛ لكي يضئ جوانب النفس، والنفس تتلقَّىٰ الحياةَ؛ لتصنع الأدب هي النفيس التي تتلقىٰ الأدب لتصنع الحياة " (١).

فالأدبُ يرتبطُ ارتباطًا وثيقًا بالنفس، وهذه العلاقةُ ليس وليدةَ اللحظة، بل موجودة منذ القدم، فيعبِّرُ الإنسانُ عن احتياجاته دون ارتباطه بقواعدَ خاصةٍ، ومن هنا وجد علم النفس ليهتم بدراسة الإبداع من خلال تحليل نتاج كل مبدعٍ، فعبِّرُ عن خفاياه، وهذا العلمُ " يبحثُ في عقل الإنسان من حيث كونه معبِّرًا عن أفكاره بأساليبَ لغويةٍ راقيةٍ، أو مقدرًا لتعبير الإنسان عن أفكارهم بتلك الأساليب "(٢).

وعلماءُ النفس هم الذين يكتشفون مكنوناتِ وخفايا المبدعين من: شعراء أو أدباء وفنانيين، فـ" أشار فرويد إلىٰ أنَّ الأدباءَ والفنانيين هم وحدهم أدرىٰ بأسرار النفس الإنسانية وإليهم يرجع الفضل في اكتشاف اللاوعي، وعلىٰ علماء النفس والطب النفسي الإفادة من مكنونات الأعمال الأدبية والفنية " (٣).

---

(١) – التفسير النفسي للأدب – عز الدين اسماعيل – دار غريب للطباعة – القاهرة – ط(٤) (د .ت) ص٥٠ .

(٢) – دراسات في علم النفس الأدبي – حامد عبد القادر لجنة البيان العربي – الجامعة النموذجية – القاهرة – ط: (١) ١٩٤٩ / ص ١٨ .

(٣) – المدخل إلىٰ نظرية النقد النفسي – سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد نموذجًا – زين الدين مختاري – اتحاد الكتاب العرب – دمشق – سنة ١٩٩٨ / ص١٣ .

وعند دراسة أي نتاج أدبي لا بُدَّ من معرفة حياة الأديب والنتاج الأدبي، وعند معرفة الأديب يجب معرفة الأحاسيس؛ لأنَّها ذات أثرٍ علىٰ النتاج، ويجبُ ربط " الأدب – بوصفه وجدانًا وإنسانيةً – بعلم النفس الذي هو تحليلٌ للدوافع السلوكية والحالات الشعورية، وبدمج الاثنين معًا يمكن إدراك الجمال وفنية التعبير " (١).

ومما سبق نستطيعُ القول: إنَّ الأدبَ يعكسُ الحالةَ النفسيةَ للأديب، فنجدُ ذا الرمة يُبدعُ في لوحاته الفنية الحية الموجودة في ذهنه من خلال وصفه للطبيعة، وتغنَّىٰ بها، فوصف الصحراء وما فيها من جبال وهضاب ونباتات، والليل، والحيوانات.

وها هو يصف الصبح وجمال الشمس، قائلًا:

حَتىٰ إذا ما لَها في الجدرِ واتخذت ... شمس النهار شعاعًا بينه طبب

وَلاحَ أَزهَرَ مَشهورٌ بِنَقبَتِهِ ... كَأَنَّهُ حينَ يَعلو عاقِراً لَهَبُ

هَاجت لهُ جَوع زرق مخصرة ... شَوازب لاحِها التّغريث والجنبُ(٢)

وصف الشاعرُ في الأبيات السابقة صورةَ الشمس وانعكاسها علىٰ الرمال كأَنَّه لهبٌ، فهنا يعكسُ الشاعرُ التكيفَ مع البيئة، ويُصوِّرُ الحالةَ النفسيةَ للشاعر في بحثه عن الاستقرار، وتفاعله مع البيئة المحيطة، فالليل كان سببًا في امتناع الحيوانات عن الخروج، والبحث عن غذائها، فإذا ما أتىٰ الصبح عادت الحياة وأشرق الأمل.

وقوله في وصف النعام والظليم:

لَا يَذْخَرَانِ مِنَ الْإِيغَالِ بَاقِيَةً ... حَتَّىٰ يَكَادَ تُفَرَّىٰ عَنْهُمَا الْأُهُبُ

فكلما هبطا من شأوٍ شوطهما ... من الأماكنِ مفعولٌ به العجبُ

---

(١) – المعجم المفصل في الأدب – محمد التونجي – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – ط: (٢) سنة ١٩٩٩ / ١: ٤٧ .

(٢) – ديوانه / ١: ١٧ .

لا يـأمَـنـان سِـــبـاع الأرضِ أو بـرداً إن أظلمَـا دون أطفـال لهـا لجـبُ (١)

وصف الشاعرُ في الأبيات السابقة خوفَ النعام والظليم، فيخافان من الظلام علىٰ البيض أن يكسره البرد، وكذلك علىٰ أفراخهما، فيتأذيان؛ لأنَّ أفراخَهما لا ريشَ لهما، والبيض في مكانٍ مكشوفٍ.

وقوله في وصف الظبية:

فـمـا ظِـبـيـة تَـرعـىٰ مَســـاقـطَ رمـلَـة كَسَـا الواكف الغَادي لها ورقًا نضـرًا

تلاعًا هراقت عند حَوضـي وقـابلت من الحبلِ ذي الأدعَـاص آملـة عفرًا

رأت أنسًـا عـنـد الـخـلاءُ فـأقـبـلـتُ ولـم تـبُـد إلا في تَصـــرفـهـا ذعـرا(٢)

يصفُ الشاعرُ الحالةَ النفسيةَ للظبية عندما رأت إنسانًا يقتربُ منها، وكيف تواجهه، فانعكس التفاعلُ بين المشاعر والبيئة المحيطة بها، فالأبياتُ تعكسُ الدلالةَ النفسيةَ المرتبطةَ بالقلق والبحث عن النجاة من المصاعب.

وقوله:

طَـاف حُـكـم الـمَـرجـل الـركـود وردَت بـيـن الـهـبّ والـهِـجـود

بـأركـبِ مـثـل الـنشـــاوي الـغـيـد وقـلـصُ مُـقـورة الـجِـلـود (٣)

صوَّر الشاعرُ ناقتَه من جميع الزوايا، وكأنَّه مصوِّرٌ فوتوغرافيٌّ، فالناقة هنا ما هي إلَّا انعكاسٌ نفسيٌّ يجولُ في نفس الشاعر.

وقوله:

فـمَـا أقـول ارعَـوىٰ إلا تـهـيضـــه حَظ لـهُ من خبـالِ الشـوق مَقسـومُ

كـأنَّهـا أُمُّ ســاجي الطَّرْفِ، أَخْـدَرَهـا مُسْـتَـوْدَعٌ خَـمَـرَ الـوَعْـسَ، مَـرخُـومُ

---

(١) – ديوانه / ١: ٢٠.

(٢) – السابق / ١: ٨٥، ٨٦.

(٣) – السابق / ١: ٧٨، ٧٩.

تَـنْـفِـي الـطَّـوَارِفَ عَـنْـهُ دِعْـصَـــا بَـقَـرٍ وَيَـافِـعٌ مِـنْ فِـرِنْـدَادَيْـنِ مَـلْـمُـومُ (١)

يُشبِّهُ الشاعرُ محبوبتَه "مي" بالظبية من شدة جمالها، حيث أصابت المحبوبةُ قلبَه دون غيرها؛ نتيجةَ الحب الشديد، وهي تُشبهُ "أم ساجي"، وهذه كنيةٌ للظبية، وهي ذات عينين واسعتين، فهي مستودعُ خمرٍ، يهمُّ إذا ما رأها.

وقوله:

أَرَىٰ نـاقتي عند المحصّـــب شَـــاقها رواح الـيَـمـاني والـهَـديـل الـمـرجـعُ

فـقُـلـتُ لَـهـا: قـرّي فـإن ركـابـنـا وركـبـانـهـا مـن حـيـث تـهـويـن نـزّع

وهن لـدىٰ الأنوار يعكســن بـالبري عـلـىٰ غـرض مـنـا ومـتـهـن وقـع (٢)

أحسَّ الشاعرُ بالحنين لناقته، فأقام بينه وبينها حوارًا، وكان الشاعرُ حينما أجرىٰ الحوار معها حالته النفسية سيئةً وحزينًا، فأتىٰ بصوت "الهديل"، وهو صوتُ بكاء الحمام، وكأنَّه لم يجدْ أحدًا يحاوره.

وقوله:

لأنـت عَريكتها من طولِ مـا ســمعتُ بـيـن الـمـفـاوز تَـنـام الصّـــدىٰ الـغـرّد

حَـنـت إلىٰ نعمِ الـد هنـا فقُلـت لهـا أمي هلالاً علىٰ التوفيقِ والرّشـــد

الـواهـب الـمـئـة الـجـرجـور حـانـيـة علىٰ الرباعِ إذا مـا ضَـــن بـالسّـــيـد (٣)

وصف الشاعرُ في الأبيات السابقة الناقةَ بصفاتٍ إنسانيةٍ، فدار بينه وبينها حوارًا، حيث إنَّها تفهمه ويفهمها، ويتضح مدىٰ الألفة بين الشاعر وناقته، فهي رفيقةُ دربه في الحلِّ والترحال.

---

(١) – ديوانه / ١: ٢٢٥ .

(٢) – السابق / ١: ١٥٩ ، ١٦٠.

(٣) – السابق / ١: ٧٢ .

الدلالة الاجتماعية

كان المجتمعُ الأمويُّ في صراعٍ مستمرٍّ مع البيئة الصحراوية التي يعيشُ فيها، وهذا ما نقله لنا ذو الرمة من بيئته، فعاش في البيئة الطبيعية، بما فيها من ظروفٍ صعبةٍ وقاسيةٍ، كما أنَّ لها إيجابياتها، فـ" للصحراء علىٰ الإنسان فضلٌ لا يُنكرُ في توجيه حياته وفكره وسلوكه، وهي مكان وظروف، ولكنها – علىٰ الرغم من ذلك – تركت أثرًا لا تمحوه الأيامُ من ذاكرة الإنسان، في تكوين حياته، وبناء مجده وحضارته، والإنسان ابن الصحراء تقلب في رحمها " (١).

وانتشر في داخل الصحراء مهنةُ الطرد، بما فيها من متعةٍ وترفيهٍ للصيادين عند ظفرهم بما طلبوا، فالصيد " يلينُ عواطفَهم، ويشحذُ هممَهم، ويُعلي عزائمَهم، ويحليهم بالصبر والأناة، ويعلمُهم الاحتيالَ علىٰ الخصم، ويمرنُ خيلَهم بالطراد، ثم إنَّه يذهبُ بهمومهم، ويكفهم عن المحرمات " (٢).

وقد استأثرت البيئةُ الصحراويةُ بمكانةٍ كبيرةٍ في شعر شاعرنا، ممَّا جعله يتفرغُ فيها لوصف مناظرها وحيواناتها وطيورها ونباتاتها، فيقول:

قاظَ الحصادَ والنَّصِيَّ الأغيَدا ... والجزءَ مَسقِيَّ السّحاب أربَدا

يجِفرُ أعجازَ الرُخامي المُيَّدا ... من حَبلِ حَوضي حيثُ تَرَدَّدا

والقِنعَ أصلالًا وأيَكًا أحَصدا ... حتىٰ إذا شَمَّ الصّبا وأَبردَا(٣)

---

(١) – أثر الصحراء في نشأة الشعر العربي وتطور حتىٰ نهاية العصر العباسي الثاني – حمدين ناصر الدخيل – وقفية الأمير غازي للفكر القرآني – سنة ١٤٢٧ / ص٤.

(٢) – شعر الطرد إلىٰ نهاية القرن الثالث الهجري – عبد الرحمن رأفت – مؤسسة الرسالة – بيروت ط: (١) سنة ١٩٧٤ / ص١٤.

(٣) – ديوانه / ١: ٦١.

وصف الشاعرُ في الأبيات السابقة الشجرَ الملتفَّ، وهي تحمي الثورَ بداخلها، وهي تولد دلالة اجتماعية بالبيت الكبير الذي يحمي مَن بداخله، وحينما وجد الثور بداخلها أحسَّ بالأمن والأمان والسكينة والاستقرار.

وقوله:

تَتبعنَّ مِثل الصّخر الصّخود ... تَرمىٰ السري بعنقِ أملودِ

وهَامة مَلمود الجَلمود ... وكاهلُ تم إلىٰ تصعيدِ (١)

وصف الشاعرُ سيرَ الإبل وهي تتبعُ الناقة، فتشبه ناقته الصخرة الصماء، ولكن تكشف الناقة طريقها عن طريق عنقها الطويل، وهي توضح حالة الناقة بأنَّها الدليلُ والمرشدُ لبقية الإبل.

وقوله:

وَردت وأغباشُ السّواد مواضِيعها ... سَمادير غشي في العيونِ

بركب سرورا حتىٰ كأن اضطرابهم ... علىٰ شعب الميس اضطراب الغدائر

تعادوا بها من مداركه السري ... علىٰ غائرات الطرف هدل المشافر (٢)

صوَّر الشاعرُ بدايةَ ظهور الفجر بعد انتهاء الظلام الدامس، حيث شبَّه الفجرَ بامرأةٍ جميلةٍ مشهورةٍ بالبياض، شديدة الحسن، فهنا يدلُّ علىٰ انتهاء الألم والمشقة في الحياة، والفجرُ بدايةُ حياةٍ جديدةٍ.

وقوله:

أَمِن دِمنَةٍ جَرَّت بِها ذَيلَها الصَبا ... لِصَيداءَ -مَهلاً ماءُ عَينَيكَ سافِحُ

دِيارُ الَّتي هاجَت خَبالاً لِذي الهَوىٰ ... كَما هاجَت السَأوَ البُروقُ اللَوامِحُ

---

(١) - ديوانه / ١: ٧٩.

(٢) - السابق / ١: ١٣٣.

بِحَيثُ اِستَفاضَ القِنعُ غَربيَّ واسِطٍ نِهاءٌ وَمَجَّت في الكَثيبِ الأَباطِحُ(١)

وصف حاله بعد رؤيته لديار المحبوبة البالية، وسرعان ما يطلبُ من نفسه الكفَّ عن البكاء، وذرف الدموع، وهنا يُوضِّحُ لنا الحزنَ الشديدَ الذي أصابه علىٰ فقدان المحبوبة.

وقوله:

إذا استودعَته صفصفًا أو صَريمة تنحّت ونَصت جِيدها بالمناظرِ (٢)

عكس هذا البيتُ الدلالةَ الاجتماعيةَ، وعلاقة الإنسان بالحيوان في الصحراء، فصوَّر الحيوانَ بأنَّه إنسانٌ يُعبِّرُ عن المشاعر الإنسانية، مثل الخوف، وهذا يعكسُ تشكيلَ الحيوانات وأهميتها عند ساكني الصحراء، وهو جزءٌ منهم.

وقوله:

رأت أنسًا عند الخَلاء فأقبلت ولم تَبدأ إلا في تَصرفها ذُعرًا (٣)

صوَّر الشاعرُ في البيت السابق العلاقةَ بين الإنسان والحيوان، حيث ظهر الخوفُ والذعرُ كجزءٍ من العلاقة الاجتماعية بين الإنسان والحيوان في الصحراء، ووجود المصاعب كان له أثرٌ علىٰ السلوك الاجتماعي.

وقوله:

وقفت علىٰ ربع لمية ناقتي فما زلت أبكي عنده وأخاطبه

وأسقيه حتىٰ كاد مما أبثه تكلمني أحجاره وملاعبه (٤)

---

(١) – ديوانه / ١: ٥٠.

(٢) – السابق / ١: ١٣٢.

(٣) – السابق / ١: ٨٦.

(٤) – السابق / ١: ٢٣.

صوَّر الشاعرُ مدىٰ الارتباط العاطفي بالمكان، حيث جعل من الوقوف فعلًا اجتماعيًّا، يُعبِّرُ عن الأيام الخوالي والحنين إلىٰ الماضي، وكذلك الأطلال تشهدُ علىٰ العلاقات الاجتماعية التي كانت قائمةً في الماضي بين المحبين.

وقوله:

قف العيس في أطلال مية فأسأل ... رسومًا كأخلاق الرداء المسلسل

أظن الذي يجدي عليك سؤالها ... دموعًا كتبذير الجمان المفصل

وما يؤم حزوي إن بكيت صبابة ... لعرفان ربع أو لعرفان منزل (١)

الأطلال ليست أماكنَ مهجورةً، بل هي شاهدٌ علىٰ العلاقات الاجتماعية، فأصبح الحديثُ مع الأطلال تعبيرًا عن فقدان التواصل الاجتماعي الحقيقي بين الأحبة، والحنين إلىٰ ذكريات الماضي.

وقوله:

بها كل خوار إلىٰ كل صعلة ... ضهول ورفض المذرعات القراهب

تكن عوجة يجزيكها الله عنده ... بها الأحراز تقضي ذمامة صاحب

وقفنا فسلمنا فردت تحية ... علينا ولم ترجع جواب المخاطب (٢)

صوَّر الشاعرُ في الأبيات السابقة الحيوانات، وهي تُمثِّلُ جزءًا من النظام الاجتماعي للبيئة، وكذلك يُشيرُ إلىٰ القيم الاجتماعية بينهم، مثل: الوفاء، والالتزام بالعهود.

وخلاصة القول: وُجدت علاقةٌ وطيدةٌ بين الإنسان والطبيعة في داخل البيئة الصحراوية، وأنَّ الحيواناتِ في الصحراء والأطلال هي جزءٌ من النظام الاجتماعي.

---

(١) - ديوانه / ١: ٢٢٥، ٢٢٦.

(٢) - السابق / ١: ٣١.

الدلالة الفلسفية

انتقل الشعرُ من طور البداوة إلىٰ طور المدنية والحضارة، فطُبع الشعرُ بالطابع الفلسفي في أواخر العصر الأموي وبداية العصر العباسي، وخاصةً مع وجود الفرق الإسلامية، حيث تأثَّرت بالفلاسفة اليونانيين، وأصبح علمًا يُعلمُ " بأمورٍ يقتدر معه، أي: يحصل مع ذلك العلم حصولًا دائميًّا عاديًّا قدرةً تامةً علىٰ إثبات العقائد الدينية علىٰ الغير وإلزامه إياها بإيراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها [(١)]".

ورأىٰ البعض أنَّ ظهورَ الإرهاصات الفلسفية في الشعر ترجعُ إلىٰ الشعر الجاهلي، حيث يبدو الإنسان " شديد الانشغال بانعكاسات العالم من حوله علىٰ نفسه، سواء أكان العالم الجغرافي ممثلًا في الصحراء بمخاوفها ومصاعبها ومشتقاتها، أم الجبال بطبيعتها القاسية العنيفة، أم العلاقات البشرية المحكومة بشريعة المغزو من معظم الأحيان، أم بذلك المجهول الذي يداعبُ مخيلةَ الشاعر فلا يعرفُ عنه شيئًا [(٢)]".

ممَّا انعكس علىٰ جميع مناحي الحياة الأدبية والعقلية والاجتماعية، ولعلَّ الذي يهمُّنا في هذا الصدد هو وجود دلالةٍ فلسفيةٍ في شعر البيئة عند ذي الرمة، فيقول:

أولئِـك أشّـــبـاه القلاص التي طَون بنا البُعد من نعفىٰ قســًا فالمضـاجعُ [(٣)]

يُلحظُ أنَّ ذا الرمة لم يقتصرْ شعرُه علىٰ وصف البيئة المادي، بل حمل في طياته رؤيةً ودلالةً فلسفيةً، حيث وصف الشاعرُ رحلةً طويلةً وشاقةً عبر الصحراء، فمن

[(١)]- المواقف – عضد الدين الإيجي – ت/ عبدالرحمن عميرة – دار الجيل – بيروت – لبنان – ط: (١)- سنة ١٩٧٧/ ١٠:٣٢.

[(٢)]- حركة الشعر بين الفلسفة والتاريخ – عبد الله التطاوي – دار الثقافة للنشر والتوزيع – القاهرة – مصر سنة ١٩٩٢/ ص٨٢ ، ٨٣.

[(٣)]- ديوانه / ١:١٦٨.

المعروف أنَّ القلاصَ هي التي تسيرُ لمسافاتٍ كبيرةٍ في الصحراء، وهذا الوصفُ الظاهرُ أو السطحي، أمَّا الوصفُ العميقُ فهو تصويرٌ لحياتنا، فهيٰ عبارةٌ عن رحلةٍ تكونُ الميلاد والموت، ويدعونا الشاعرُ هنا إلىٰ التدبر والتفكر مليًّا في رحلتنا الخاصة، وما تحمله من أعباءٍ وهمومٍ، ولكن كما أنَّ لكلِّ شيءٍ بدايةً لا بُدَّ له من نهايةٍ محتومةٍ.

وقوله:

تُخال المَها الوحشِي لولا تَبينها شُخوص الذرا للناظِرِ المُتأملُ (١)

وصف الشاعرُ في البيت السابق منظرًا طبيعيًّا من بعيد، ولكنَّ النظرةَ الفلسفيةَ المتأنيةَ لهذا المكان غير المعنىٰ السطحي المعروف لدىٰ غير المتخصصين، أي: أنَّ هناك فرقًا بين الظاهر والباطن، فالظاهر هو مجرد قشور تخفىٰ خلفها حقائق أعمق، تتطلبُ جهدًا لاكتشاف البيئة العميقة، وهذا البيتُ يُؤكِّدُ علىٰ التأمل والتدبر، وتُؤمنُ بمحدودية الحواس ونظرتها الضيقة، وأنَّ ما تراه العينُ للمرة الأولىٰ ليس هو الحقيقة، ولكن النظرة بتمعن وتأمل وتدبر هو مفتاح كشف الغموض.

وقوله:

نَدىٰ المُحل بسامٍ إذا الرّكب قُطِعت أحَاديثهم بهماءِ عارٍ مُقيلها (٢)

وصف الشاعرُ أثرَ مرور الركب علىٰ المكان الذين نزلوا فيه، فمن خلال هذا البيت يُوضِّحُ العلاقةَ بين الإنسان والمكان، ويذكرنا بأنَّ الإنسانَ يتركُ أثرًا طيبًا وبصمةً حتىٰ في الترحال، فالإنسانُ أثرٌ.

---

(١)- ديوانه / ١: ٢٣.

(٢)- السابق / ١: ٢٤٤.

وقوله:

رَأيتُ المَهاري والديها كِليهما بصحراءِ غَفل يرمح لآل مَيلُها[١]

وصف الشاعرُ الناقةَ السريعةَ القويةَ وولديها في صحراءَ خاليةٍ، وهو يُصوِّرُ ارتباطَ العائلة والأجيال بعضهم ببعض، ولكن اتضحت الدلالةُ الفلسفيةُ في العلاقة بين الكائنات الحية واستمرارها في الوجود، والقوانين الأساسية في الحياة، وأنَّ الحياةَ مستمرةٌ، وكلُّ جيلٍ يسلمُ للآخر.

وقوله:

وحَتىٰ كَست مَتنىٰ الخشْاش لِغامُها إلىٰ حيثُ يثَني الخدُ منها جَديلُها[٢]

وصف الشاعرُ حالةَ الناقة بعد مرور عامٍ عليها، وقد أصبح وبرُها كثيفًا كأنَّه عشُ الخشاش، والدلالةُ الفلسفيةُ تُوضِّحُ التغييرَ المستمرَّ بسبب مرور الزمن، وأنَّ الزمنَ يتركُ بصماتِه علىٰ كل شيءٍ.

وقوله:

ولم يَكُ في أُفق السّماء لمدلجٍ كمثلِ الذي يَعلو من الأرضِ مَعلم [٣]

اتضحت الدلالةُ الفلسفيةُ في البيت السابق، حيث عكست شعورَ الإنسان في بعض الأحيان بالضياع الوجودي، أي: عدم وجود أهدافٍ واضحةٍ في الحياة، فأصبح بلا هدفٍ كالسائر في الليليل بدون نجوم، وهذا يعكسُ لنا عدمَ وجود المثالية.

---

[١]- ديوانه / ١: ٢٤٥.

[٢]- السابق / ١: ٢٤٣.

[٣]- السابق ١: ٣٣١.

وقوله:

وقطعُ مفازة وركُوب أخرَىٰ تَكل بها الضّبارمة الرُسوم[١]

الدلالةُ الفلسفيةُ في البيت السابق تمثَّلت في أنَّ الأشياءَ تزولُ بمرور الزمن، وعدم الدوام، وكذلك وجود علاقةٍ بين الماضي والحاضر، ومدي تأثير الماضي علىٰ الحاضر، من خلال قوله: "الرسوم"، وقد يحاول التأقلم معها وتجاوزها.

وقوله:

كأن دَوية من بَعدِ هَذه دَوي غِناء أروع مُستهام [٢]

تبرزُ الدلالةُ الفلسفيةُ في البيت السابق قوةَ العاطفة في معرفتنا للعالم، فالتجربةُ اللاحقةُ تكونُ أكثر تأثيرًا، وربما الألم والمصاعب تفتح المجال لتجربة عاطفية أجمل، وهنا يأتي بالتعويض.

وخلاصة القول: إنَّ شعرَ ذي الرمة كان نافذةً علىٰ تأمُّلاتٍ فلسفيةٍ عميقةٍ حول تجربته، والغوص في الصحراء، وتأثير الزمن علىٰ كل شيءٍ، كما يدعونا إلىٰ التفكير في الوجود، كما تحملُ أبياتُه أفكارًا عميقةً، وليست سطحيةً.

---

[١]- ديوانه / ١: ٢٦٣.

[٢]- السابق / ١: ٢٦٥.

الخاتمة

كشفت الدراسةُ عن عمق العلاقة بين الإنسان وبيئته، وأظهر شعرُ ذي الرمة عن أنَّ استخدامَ الرموز ما هو إلَّا وسيلةٌ يُعبِّرُ من خلالها عن عواطفه الدفينة، وهذه الرموزُ مليئةٌ بالدلالات المختلفة، ولم تقتصر "دراسة تجليات البيئة ورمزيتها في شعر ذي الرمة: دراسة نقدية إيكولوجية" علىٰ العلاقة بين الشاعر وبيئته المحيطة به، بل عبَّرت عن تاريخ الشعوب، كما أنَّها تُعدُّ دعوةً الشاعر للتفاعل مع بيئته بطريقةٍ أكثر عمقًا.

وبعد هذه الدراسة توصَّل الباحثُ إلى:

- تحملُ الرموزُ معانيَ غنيةً، ودلالاتٍ متباينةً في شعر ذي الرمة.

- يُعدُّ الشعرُ الأمويُّ -بصفةٍ عامةٍ- وشعر ذي الرمة -بصفةٍ خاصةٍ- معينًا لا ينضبُ من الرموز التي تحتاجُ إلىٰ مزيدٍ من التحليل.

- قدَّم الشاعرُ في العصور القديمة البيئةَ كفضاءٍ رمزيٍّ يعكسُ حالتَه النفسيةَ.

- استخدم ذو الرمة عناصرَ البيئة الطبيعية ببراعةٍ، وجسَّد معانيها تجسيدًا جيدًا، كما أنَّه تأثَّر بها كمصدرٍ للإلهام، حيث إنَّه كان من أكثر الشعراء تمثيلًا للبيئة في الشعر العربي، حيث تُمثِّلُ أشعارُه توثيقًا بيئيًّا.

-قام النقد البيئي (الإيكولوجي) في هذه الدراسة بتوضيح مدىٰ حضور البيئة في النتاج الشعري للشاعر، وما تخفيه البنية الجمالية من وعي بالبيئة .

- ربط النقد البيئي (الإيكولوجي) كمنطقة تقع في الوسط بين الشاعر ونتاجه الأدبي .

- تحوَّلت عناصرُ البيئة: (الصحراء – الحيوانات - النباتات – الليل ...) إلىٰ رموزٍ تحملُ دلالاتٍ عميقةً.

- كشفت الدراسةُ عن دور البيئة في تشكيل الوعي الرمزي للشاعر، وتجاوز الأشياء المباشرة.

- عكس شعرُ ذي الرمة حالةً من القلق والتوتر الداخلي، وإحساسه بالضياع؛ فهو يعاني من حالةٍ نفسيةٍ مضطربةٍ.

- وضَّح شعرُ ذي الرمة -من خلال دلالته الفلسفية- أنَّ الإنسانَ يعيشُ بين الأمل واليأس والحياة والموت.

- مثَّلت الصحراءُ في شعره جزءًا من الحياة الاجتماعية، فهو شديدُ الانتماء، وأنَّه فردٌ من أفرادها.

- تُمثِّلُ الأطلالُ دلالةً اجتماعيةً، فهي تعكسُ الحنينَ إلىٰ الماضي وذكريات الأيام الخوالي والتغيرات الزمنية.

- استخدم الشاعرُ البيئةَ؛ لتجسيد الصحراء بكل تفاصيلها، وإبراز العلاقة بين الإنسان والبيئة، ممَّا يعكسُ فهمًا عميقًا للبيئة.

المصادر والمراجع

أولًا- المصادر:

- ديوان ذي الرمة – قدَّم له وشرحه: أحمد حسن بسج – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط: (١)- سنة ١٩٩٥م.

ثانيًا- المراجع:

- **أثر البيئة على الشعر** – محمد بن راشد ابن خنين – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – معهد الرياض –ع (٧)-سنة ١٩٧٢م.
- **أثر البيئة في الشعر الجاهلي معلقة امرئ القيس نموذجًا** – إبراهيم الصديق أحرير – محمد أبو شعالة صالح – مجلة أبحاث بكلية الآداب – سرت – ليبيا – مارس – سنة ٢٠٢٥م.
- **أثر البيئة في شعراء العصر العباسي الأول (صور ومعان)** – باقر جلوي علوان – مجلة الباحث للعلوم الإسلامية – كلية الإدارة والاقتصاد –جامعة الفلوجة – العراق- (د.ت).
- **أثر الصحراء في نشأة الشعر العربي وتطور حتى نهاية العصر العباسي الثاني** – حمدين ناصر الدخيل – وقفية الأمير غازي للفكر القرآني – سنة ١٤٢٧ه.
- **الأدب الجاهلي بين البيئتين الطبيعية والاجتماعية** – مهدي ممتحن – مجلة التراث الأدبي – ع(٣) – السنة الثالثة – سنة ١٣٨٨هـ.ش.
- **أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي** – أحمد محمد الحوفي – مطبعة الرسالة – القاهرة سنة ١٩٥١م.
- **ألفاظ الطبيعة في جمهرة أشعر العرب "دراسة أسلوبية"** – نبيل خالد أبو علي، سعد عودة عدوان – مجلة جامعة الأقصىٰ للعلوم الإنسانية – مج (٢٢)- ع (٢)- سنة ٢٠١٨م.
- **البيئة مفهومها العلمي وعمقها الفكري التراثي** – رجاء وحيد دويدري - دار الفكر – دمشق – سوريا – ط: (١)- سنة ٢٠٠٤م.

- **البيئة من منظورإسلامي** – ياسين عبد الله المنزلاوي – دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع – عمان – الأردن – ط: (١)-سنة ٢٠٠٦م.
- **التربية البيئية وسؤالا التنمية والأخلاق "نحو وعي بيئي جديد"** – إصدارات مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات (مفاد)- مطبعة دار القلم – الرباط – ط: (١)- سنة ٢٠٢٠م.
- **التطور والتجديد في الشعر الأموي** – شوقي ضيف – دار المعارف – ط: (٨)-سنة ١٩٥٩م.
- **التفسير النفسي للأدب** – عز الدين اسماعيل – دار غريب للطباعة – القاهرة – ط(٤) (د .ت).
- **جمالية الرمز في الديوان الأخيرلمحمود درويش (لا أريد لهذه القصيدة أن تنتهي)** – أحمد عبد الحفيظ – رسالة ماجستير – جامعة آل من أجل لغة خضراء –محاولة في فهم أدب البيئة ونقده –خميس آدامي –جامعة عباس لفرور خنشلة –الجزائر –مجلة أبوليوس – مج (٨)-ع (٢)- سنة ٢٠٢١م.
- **الحضور البيئي في شعر عامر شارف – نماذج مختارة** – حبيبة رمضان – رسالة ماجستير – **كلية الآداب واللغات** – جامعة محمد خيضر – بسكرة – الجزائر – سنة ٢٠١٧م.
- **حركة الشعر بين الفلسفة والتاريخ** –عبد الله التطاوي –دار الثقافة للنشر والتوزيع – القاهرة – مصر سنة ١٩٩٥م.
- **حياة العرب الأدبية (الشعر الجاهلي)**- عروة عمر – دار مدني – الجزائر – سنة ٢٠٠٤م.
- **دراسات في علم النفس الأدبي** – حامد عبد القادر لجنة البيان العربي – الجامعة النموذجية – القاهرة – ط: (١) ١٩٤٩م.
- **دراسة في الشعراء العرب المحدثين** – محمد هدارة – (د.ت)- (د.ط).

- **الدلالة الرمزية لصورة الذئب لدى شعراء صدر الإسلام وبني أمية جدلية الثبات والتغير في القيم الحضارية دراسة سيمائية موازنة** – صابر إسماعيل محمد بدوي – مجلة كلية الآداب بقنا –جامعة جنوب الوادي –ع (٥٦)– يوليو سنة ٢٠٢٢م.
- **ذو الرمة شاعر الحب والصحراء** – يوسف خليف –دار المعارف – مصر– ط: (٢)– (د.ت).
- **رمزية الحيوان في ديوان ابن الرومي** – ندى جحيش – رسالة ماجستير – المركز الجامعي عبد الحفيظ بو الصوف ميلة – معهد الآداب واللغات –الجزائر سنة ٢٠٢١م.
- **الزمان والمكان في الشعر الجاهلي** – باديس فوغالي – عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع – عمان – الأردن – ط: (١)–سنة ٢٠٠٨م.
- **شعر الطرد إلى نهاية القرن الثالث الهجري** – عبد الرحمن رأفت – مؤسسة الرسالة – بيروت ط: (١) سنة ١٩٧٤م.
- **الشعر العربي المعاصر قضاياه ومظاهره الفنية والمعنوية** – عز الدين إسماعيل – دار الفكر العربي – بيروت – ط: (٣)–سنة ١٩٦٦م.
- **شعر الطبيعة في الأدب العربي** – سيد نوفل – مطبعة مصر – القاهرة – سنة ١٩٤٥م.
- **شعر معروف الرصافي في ضوء النقد الإيكولوجي** – محمد عبد الناصر محمد العنتبلي – حولية كلية اللغة العربية بجرجا – جامعة الأزهر – ع (٢٦)– ج (٥)– سنة ٢٠٢٢م.
- **الصحراء في الشعر الجاهلي** – محمد صديق حسن – رسالة دكتوراه – كلية الدراسات العربية– جامعة أم درمان – السودان – سنة ٢٠٠٨م.
- **الصورة الأدبية** – مصطفى ناصف –دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – (د.ت).
- **الطبيعة في شعر محمد توفيق علي** – أسماء عربي عبد الرحمن – مجلة كلية الآداب بقنا –ع (٥٢)– سنة ٢٠٢١م.
- **الغربال** – ميخائيل نعيمة – بيروت – لبنان – مج (١٥)– سنة ١٩٩١م.

- فاعلية المكان في بناء القصيدة عند ذي الرمة -مقدمة القصيدة نموذجًا - أمل طاهر نصير – مجلة جامعة الملك سعود- الآداب - مج (١٥)- ع (٢).
- في الأدب الأندلسي – جودت الركابي - دار المعارف - مصر – ط: (٦)-(د.ت).
- في الشعر الإسلامي والأموي – عبد القادر القط - دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت – بيروت – سنة ١٩٧٩م.
- الليل في الشعر العربي: من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي – كوثر علي محمد علي– رسالة دكتوراه - جامعة أم درمان الإسلامية – كلية اللغة العربية – السودان سنة ٢٠١٤م.
- المدخل إلى نظرية النقد النفسي – سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد نموذجًا – زين الدين مختاري – اتحاد الكتاب العرب – دمشق – سنة ١٩٩٨م.
- معالم الرمزية في الشعر الصوفي العربي – نور سلمان – أعدتها لنيل شهادة أستاذ في العلوم – الجامعة الأمريكية – بيروت – سنة ١٩٥٤م.
- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية – جميل صليبا – دار الكتاب اللبناني – بيروت – سنة ١٩٨٢م.
- المعجم المفصل في الأدب – محمد التونجي – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – ط: (٢) سنة ١٩٩٩م.
- مقالات في الشعر الجاهلي - يوسف اليوسف - دار الحقائق – ط: (٤)- سنة ١٩٨٥م.
- من أجل لغة خضراء – محاولة في فهم أدب البيئة ونقده – خميس آدامي – جامعة عباس لفرور خنشلة – الجزائر – مجلة أبوليوس – مج (٨)- ع (٢)- سنة ٢٠٢١م.
- المواقف – عضد الدين الإيجي – ت: عبدالرحمن عميرة – دار الجيل – بيروت – لبنان –ط: (١)- سنة ١٩٧٧م.
- الناقة في الشعر الجاهلي دراسة في ضوء علم الميثولوجيا – حمودبن خلفان الدغبيشي – حوليات آداب عين شمس -مج (٤٠)- سنة ٢٠١٢.

- **النسق الأسطوري في القصيدة الجاهلية**: صورة الثور الوحشي عند النابغة أنموذجًا – محمد علي الشهري – مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة -جامعة الأزهر – ع (٣٢)- ج (٣)- سنة ٢٠١٣م.
- **نظرية الأدب** – رينيه ويلك، وارين أوستن – (د.ت)-(د.ت).
- **النقد الأدبي البيئي قراءة في مدونة الدراسات العربية البيئية وممارسة تطبيقية على قصة "رأيت النخل"**، لرضوىٰ عاشور – عاني علي سعيد- ع (٢٦)- يناير سنة ٢٠٢٦م.
- **مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية** - كلية الآداب – جامعة كفر الشيخ.
- **النقد الأدبي البيئي (النظرية والتطبيق)** – محمد أبو الفضل بدران – إدارة الثقافة الإسلامية – الكويت -٢٠١٠م.
- **النقد البيئي الرؤية والتطبيق دراسة تطبيقية لنماذج شعرية من شعر المدينة والريف، للشاعر الجزائري** – عبد الملك بو منجل – مجلة دراسات – مج (١٢)- ع (١)- سنة ٢٠٢٣م.
- **النقد البيئي ونظرية الأدب دراسة في نماذج روائية عربية معاصرة** - عبير جودت حافظ عبد الحافظ - جامعة قطر – كلية الآداب والعلوم -يناير سنة ٢٠٢٣م.
- **الوصف في الشعر العربي** – عبد العظيم علي قناوي – مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي – مصر – ط: (١)- سنة ١٩٤٩م.